

الجزء الاول | تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي اكتوبر ١٩٣٧ | المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

الجزء الاول — **فهرس العدد** — المجلد الثاني

الاشتراك

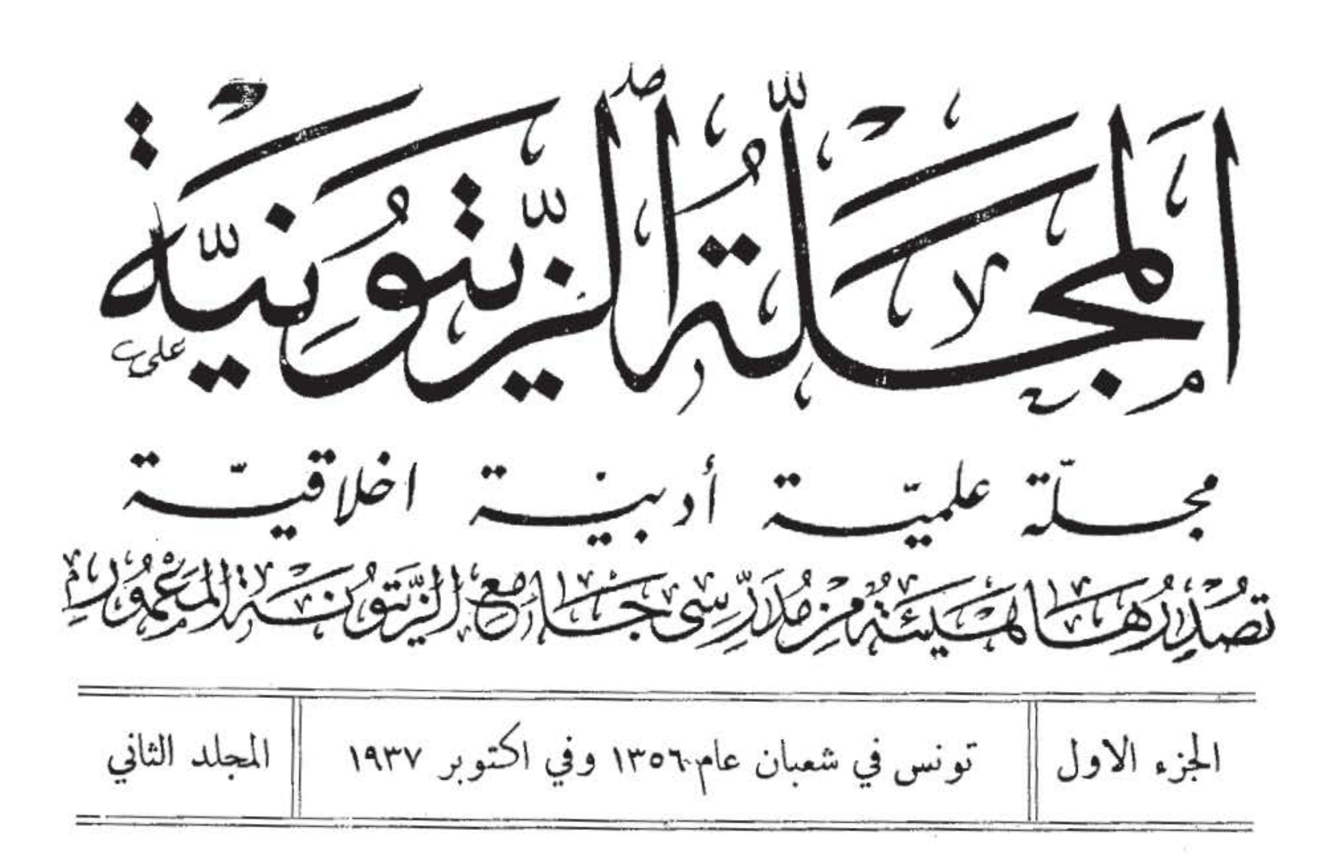
عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



المجلد الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي اكتوبر ١٩٣٧	الجزء الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٠٩-٤٠

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بسم الله الرحمن الرحيم

دخول المجلة الزيتونية في عامها الثاني

نحمدك اللهم حمدا يقيد ما افضته علينا من نعمك . وما غمرتنا به من بحر جودك وكرمك . ونصلي ونسلم على نبيك الاعظم . وصراطك التام الاقوم . منبع الفضائل والكمالات . والشمس التي طلعت على العالم فمزقت حجب الكفر والنفاق والضلالات . وعلى ءاله الاطهار . واصحابه الابرار .

اما بعد فان من اجل ما ينعم الله به على عبده ان يوفقه لعمل نافع يسديه . او لقول صالح يبديه . وغاية ما يتمناه الانسان ان يقوم بواجب النصح والارشاد . وان يوفقه الله الى ان يكون منارا يهتدى به الناس الى طريق السداد . ومما يدل على شرف هاته الرتبة ويعليها مقاما . مدح القرآن للذين قالوا واجعلنا للمتقين اماما . وتاكد شرفها بما اعد لها من الجزاء العظيم على لسان سيد العرب والعجم في قوله : لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

وان من اهم وسائل الارشاد في عصرنا الحاضر نشر المجلات العلمية بين عموم الطبقات فهي سهلة التناول . كثيرة التداول . يستفيد منها الناس على اختلاف درجاتهم . وتفاوت مداركهم . ويجد منها العالم منبرا يرتقيه ليصدع بما امره الله . فيسمع اقواما كانت عن طريق الرشاد نائية ويرشد من تنكب منهم عن طريق الصواب وينقذ من كان منغمسا في مبتدعات الامور ومحدثاتها . ويبين للناس الجادة المثلى التي يجب عليهم سلوكها حتى تحصل لهم النجاة في الآخرة والاستقامة في الدنيا . وبذلك يكون قد قام ببعض ما فرض الله عليه . وادى الامانة التي التزم ان يقوم بها . ومن اجل ذلك اسسنا في العام الماضي هذه المجلة . ووضعنا لها منهاجا لتسير على مقتضاه . واجتهدنا في تنفيذه ولكننا عند التطبيق وجدناه متسع النطاق . والمجلة في عامها الاول . فاجتهدنا في تنفيذ ما امكننا ان نقوم به . وتعللنا عن تقصيرنا في القيام بالباقي بان هذه المشاريع العظيمة يحسن فيها الريث . واول القطر غيث .

بذلنا الجهد في القيام بالواجب نحو الرقي بالمجلة من جميع النواحي فنشرنا من المباحث العلمية . والتحقيقات العالية . والمواضيع الشائقة . ما جادت به اقلام العلماء بهذه البلاد . جازاهم الله احسن الجزاء . فتكون من مجموعة العام الاول سفر علمي عزيز المنال . غزير الفائدة .

وقد تحقق لنا بهذه المجلة غرض آخر من اهم الاغراض التي دفعتنا لتاسيسها وهو ربط الصلة

بين علماء البلاد التونسية وغيرهم من بقية العلماء في سائر الاقطار . فحصل التقارب بين الفريقين وقام الدليل على ما للعلماء بهاته البلاد من القيمة الكبرى . والشان العظيم . وتواردت علينا رسائل التأييد والاستحسان من اعيان علماء الاقطار الاسلامية . وكبار المفكرين فيها . وكلهم محبذون مسلك المجلة ويثنون عليها ونحن مع شكرنا لهم على ما ابدوه من حسن التقدير . فاننا نعترف باننا لم نصل بعد الى الغاية التي نصبوا اليها من الارتقاء بهذه المجلة الى مستوى المجلات العلمية الكبرى بالعالم. وهي الغاية التي نريد ان نصل اليها بحول الله

واذ قد تحدثنا عن التأييد الذي لاقيناه من اعيان العلماء فان مما يجب علينا ان نسجله بافتخار ما لا قيناه من التأييد والاعتبار من لدن صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي . فانه ابقاه الله قد نظر الى هذه المجلة بعين الاكبار واظهر ابتهاجه وسروره بها . وصرح برضاه عنها في مناسبات متعددة . ومن شدة اعتنائه بها انه قد ارسل الينا في منتهى السنة احد اعيان خاصته ليبلغ الينا شكره ودعاءه الصالح . واخبرنا بان بعض الاعداد قد تلاشت له ويريد منا تعويضها لتضم الى مكتبته العلمية بقصره العامر . كما انه منح المجلة عطية سنية شرفنا بارسالها الينا على طريق تابعه المشار اليه . وبذلك فقد اظهر اعتناءه بهذه المجلة ادبيا وماديا . ولا غرابة في صدور هذا من اميرنا الجليل . وهو ابو الخيرات . ومصدر الفضائل والكمالات من ازدهرت في دولته الحياة العلمية . وشمل فضله سائر الرعية . الذائد عن حمى الدين . والحافظ له من دسائس المشركين والملحدين . ابقاه الله . وادام عزه وعلاه . كما يجمل بنا هنا ان نقدم لقرائنا الكرام ومشتركينا الافاضل خالص شكرنا وعظيم امتناننا على ما ابدوه من العطف والتقدير نحو هذا المشروع والرجاء ان تلاقي المجلة من اعانتهم وتشجيعهم في عامها الثاني نظير ما لاقته منهم في عامها الاول او ازيد . وليعذرونا فيما اضطررنا اليه من ترفيع ثمن المجلة الامر الذي دعا اليه كثرة مصاريف الطبع بسبب ارتفاع ثمن الورق وزيادة اجور العملة فقد تحملنا من جراء ذلك في العام الفارط مشاق مادية لا يستهان بها وحرصا على حياة المجلة رفعنا ثمنها في هذا العام فان هذه المشاريع التي لا تقوم الا بالمال يلزم ان يكون لها في دخلها ما يوفر عليها مصاريفها الضرورية والا فهي الى الاضمحلال السريع صائرة . ولا نخال قراءنا الكرام الا عاذرينا في هذا الترفيع ملبين صوت الواجب في الاقبال على اقتنائها والكرع من منهلها فانه مهما زادونا اقبالا وتشجيعا زدناهم اتقانا وتحسينا

وها نحن اليوم ندخل بالمجلة في عامها الثاني . راجين من الله ان يمدنا بتوفيقه وعنايته . ويشملنا بلطفه ورعايته . حتى نسير بها اشواطا الى الامام . ويكون النجاح في البداية بشيرا بحسن الختام .



الحسنة الملوكية الخالدة

انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

مبرة جديدة وحسنة اخرى خالدة تلك التي وفق لها حضرة ولي النعم صاحب البركات ومصدر الخيرات الامير ابن الامير سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ايد الله دولته من تعمير بيت من بيوت الله وتسهيل العبادة واقامة الشعيرة الدينية الكبرى الا وهي الصلاة على من وفق لها من عباد الله .

ضاق مسجد الصلاة بالمرسى مصيف الامير الجليل عن ايواء عدد المصلين الكثيرين المقبلين على اداء فريضة الجمعة هناك حتى فقدوا الطمائنينة اللازمة في الصلاة وتعالت اصوات المشتكين من ضيق المكان فبلغت المسامع الشريفة وهناك اذن ابقاه الله في توسيع المسجد المذكور من ماله الخاص فتهللت لهاته البشرى وجوه المصلين وابتهلوا الى الله تعلى ان يطيل عمر اميرنا المحبوب وان يضاعف له عن عمله هذا الاجور فوقع الشروع في تنفيذ الارادة السنية من طرف الادارة الخاصة للحضرة الملوكية واول عمل بدىء به في هذا السبيل هو اشتراء الخان المجاور للمسجد ليقع ضمه له وكان ذلك في رجب من العام المنصرم ١٣٥٥ واستمر الصناع في عملهم الى ان انتهى العمل في رجب الفارط وقد ظهر المسجد بعد هذا التجديد بهجة للناظرين وروضة من رياض الجنان المعدة لعباد الله الصالحين ووقع فرشه بالفرش الغالية الثمينة وعلقت به الثريات البلورية الجميلة التي تأخذ بالالباب فكان مسجدا من الطراز الاول في اتقان الصنع وجمال التأثيث واتساع المحمل يأوي ما لا يقل عن الفي مصل

وفي يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر رجب المنصرم اقيم احتفال باهر بمناسبة فتحه لاداء الصلاة فيه حضره مولانا الامير ومعه رجال الحاشية الملوكية من امراء ووزراء وكبراء الدولة وشيوخ الشرع العزيز وشيخ جامع الزيتونة الاعظم ورجال التدريس فيه والسادة الاشراف وايمة الجامع الاعظم وكثير من اعيان الامة وسراتها وتليت بمحضر الامير الجليل آيات من الذكر الحكيم ثم تلى امام الجامع العالم الخير الحافظ الشيخ احمد البناني على الاسماع الشريفة القصة المولدية للبرزنجي تيمنا وتبركا بسيرة وشمائل المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم ثم القى خطبة بليغة بين فيها فضائل بناء المساجد في الاسلام وما يصنعه المسلمون في المساجد من الامور العامة ومصالح الدولة في القديم والحكمة في اقامة الصلاة الجامعة في الاسلام .

وبعد ذلك قفل الامير راجعا لقصره العامر فادى اليه الحاضرون مراسم التبريك والتشريف والقى بين يديه العلماء الازكياء المشائخ الجلة محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة . الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى الحنفية . علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى المالكية . الطاهر القصار المدرس من الطبقة الثانية ومدير هاته المجلة (١) قصائد من غرر الشعر وعيونه في تهنئة الامير والاستزادة من فيض خيره فجزى الله جلالة اميرنا المعظم عن هذا العمل المشكور احسن ما يجازى به عباده العاملين على رفع منار الدين واعلاء كلمته .

(١) نشرنا قصيدة الشيخ الطاهر القصار التي القاها يوم فتح الجامع بين يدي الامير بالقسم الادبي من هذا الجزء .

القرآن الكريم

سورة فاتحة الكتاب

السورة قطعة معينة من القرآن بمبدإ ونهاية لا يتغيران مسماة باسم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فاكثر وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقراء القرآن مع حديث عمر فيما رواه ابو داود عن الزبير قال جاء الحرث بن خزيمة (هو المسمى في بعض الروايات خزيمة وابا خزيمة) بالآيتين من آخر سورة براءة فقال اشهد اني سمعتهما من رسول الله فقال عمر وانا اشهد لقد سمعتهما منه ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة الخ فدل على ان عمر ما قال ذلك الا عن علم ان ذلك اقل مقدار سورة ثم يحتمل عندي ان يكون اطلاق السورة على القطعة المعينة في الكتاب مستعملا عند العرب قديما بان كانوا يطلقونه على اجزاء التوراة والانجيل اذ كانت مترجمة للعربية عند المتدينين من العرب لثبوت الترجمة في خبر ورقة بن نوفل في صحيح البخاري في بدء الوحي فلما جاء القرآن اطلق هذا الاسم على القطع المعينة منه وقد نستروح لهذا بما جاء في القرآن « ويقول الذين كفروا لولا نزلت سورة »ويحتمل ان يكون اطلاق السورة من اصطلاح القرآن لقب به السور الاول التي نزلت كسورة العلق وسورة المدثر وسورة الفاتحة ثم شاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم وعلى كلا الاحتمالين فالتحدي للعرب بقوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله . فأتوا بسورة من مثله، لا يكون الا تحديا باسم معلوم المسمى والمقدار عندهم وقت التحدي فان آيات التحدي نزلت بعد السور الاول .

وجمع سورة سور بتحريك الواو كغرف ونقل في شرح القاموس عن الكراع (١) انها تجمع على سور بسكون الواو وتسوير القرآن من السنة الماضية من زمن النبيء صلى الله عليه وسلم فقد كان القرآن يومئذ مقسما الى مائة واربع عشرة سورة باسمائها ولم يخالف في ذلك الا عبد الله ابن مسعود فانه لم يثبت المعوذتين في سور القرآن وكان يقول انما هما تعوذ امر الله رسوله بان يقوله وليس هو

(١) هو علي بن حسن الهنائي المعروف بكراع النمل المصري توفي بعد سنة ٣٠٧ الف المنضد في اللغة ثم اختصره وسماه المجرد ثم اختصره وسماه المنجد

من القرآن كما في صحيح البخاري واثبت القنوت الذي يقال في صلاة الصبح على انه سورة من القرآن سماها سورة الخلع والخنع(١) ولم يحفظ عن الصحابة حين جمعوا القرآن انهم ترددوا ولا اختلفوا في عدد سوره وانها مائة واربع عشرة سورة روى اصحاب السنن واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت الآية يقول ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا فترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبيء صلى الله عليه وسلم كما نقله ابن عطية عن مكي بن ابي طالب وجزم به السيوطي في الاتقان وبذلك يكون مجموع السورة من الآيات ايضا توقيفيا ولذلك نجد في الصحيح ان النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسورة كذا وسورة كذا من طوال وقصار ، واما ترتيب السور بعضها اثر بعض فقال ابو بكر الباقلاني يحتمل ان النبيء صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بترتيبها كذلك ويحتمل ان يكون ذلك من اجتهاد الصحابة ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بان ترتيب السور بعضها اثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان قال ابن عطية وظاهر الاثر ان السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم وكان من السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف

وذكر في الاتقان ان من الصحابة من رتب مصحفه على ترتيب النزول وكذلك كان مصحف علي رضي الله عنه وكان اوله اقرأ باسم . ثم المدثر . ثم المزمل . ثم التكوير وهكذا الى آخر المكي ثم المدني ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف أبي وابن مسعود فكانا ابتدءا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران وعلى هذه الطريقة امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف المدعو بالامام وفي باب تأليف القرآن من البخاري عن عبد الله بن مسعود انه ذكر النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة فسئل علقمة عنها فقال عشرون سورة من اول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرها من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون على ان الجمهور جزموا بان كثيرا من السور كان مرتبا في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم . ثم اعلم ان ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري باب تاليف القرآن انها لاترى القراءة على ترتيب المصحف امرا لازما فقد سألها رجل من العراق ان تريه مصحفها ليؤلف عليه مصحفه فقالت «وما يضرك أية آية قرأت قبل انما نزل اول ما نزل منه سورة فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام » وفي صحيح مسلم عن حذيفة ان النبيء صلى الله عليه وسلم صلى بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران في ركعة قال عياض هو دليل لكون ترتيب السور وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف وهو قول مالك رحمه الله وجمهور العلماء وعلى الاحتمالين يجوز ان يقرأ بعض السور قبل البعض المثبت في

(١) بفتح الخاء فيهما لان في لفظ القنوت ونخلع لك ونخنع ونترك من يكفرك

المصحف قبله قال ابن بطال (١) لانعلم احدا قال بوجوب القراءة على ترتيب السور في المصحف بل يجوز ان تقرأ الكهف قبل البقرة واما ما جاء عن السلف في النهي عن قراءة القرآن منكسا فالمراد منه ان يقرا من آخر السورة الى اولها اه)

وفائدة التسوير قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعلى فأتوا بسورة من مثله « ان الجنس ان انطوت تحته انواع كان احسن وانبل من ان يكون بيانا واحدا(٢) وان القارىء اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا

واما اسماء السور فقد علمتم من حديث ابن عباس الذي قدمناه ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا نزلت الآية ضعوها في السورة التي يذكر فيهاكذا فسورة البقرة مثلا تلقب بالسورة التي يذكر فيها البقرة قلت واصل ذلك من باب التوصيف ثم شاع فحذفوا الموصول وعوضوه بالاضافة فقالوا سورة ذكر البقرة ثم حذفوا المضاف واقاموا المضاف اليه مقامه فقالوا سورة البقرة وسورة الفتح مثلا او انهم لم يقدروا مضافا واضافوا السورة لما يذكر فيها لادنى ملابسة وقد ثبت في صحيح البخاري ان عائشة رضي الله عنها قالت لما نزلت الآيات من آخر البقرة الحديث وقد روي حديث عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله قال احمد بن حنبل هو حديث منكر وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ويذكر عن ابن عمرانه كان يقول مثل ذلك ولا يرفعه الى النبيء صلى الله عليه وسلم ذكره البيهقي في شعب الايمان وكان الحجاج يمنع من يقول سورة كذا ويقول قل السورة التي يذكر فيها كذا وهذا كله غلو وشدة ولم يجئ عن السلف ولهذا ترجم البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن بقوله باب من لم ير باسا ان يقول سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا واخرج فيه احاديث تدل على انهم قالوا سورة البقرة ، سورة الفتح ، سورة النساء ، سورة الفرقان ، سورة براءة وبعضها من لفظ النبيء صلى الله عليه وسلم . والظاهر ان الصحابة سموا السور بما حفظوه عن النبيء صلى الله عليه وسلم واخذوا لها اشهر الاسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت تلك التسمية غير مأثورة فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنع كما مر فتعين ان تكون التسمية من وضعه ، واسماء السور اما ان تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد واما ان تكون بالاضافة لشيء اختصت

---

(١) هو علي بن خلف بن بطال القرطبي ثم البلنسي المالكي المتوفى سنة ٤٤٤ كان عالما جليلا نبيلا جيد الفهم له شرح على صحيح البخاري كبير جم الفوائد يتنافس العلماء فيه ومعظمهم عالة عليه

(٢) قوله من ان يكون بيانا واحدا قال السيد اراد بالبيان الشيء وفي حديث لئن عشت الى قابل لالحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا بيانا واحدا وكأن هذه الكلمة يمانية قلت ويعني صاحب الكشاف ان كثرة الانواع تدل على رفعة الجنس كانواع الحيوان بخلاف الجنس الذي ليس تحته انواع كالرمل

بذكره نحو سورة لقمان ويوسف والبقرة. واما بالاضافة لما كان ذكره فيها اوفى نحو سورة هود وسورة ابراهيم. واما بالاضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة وسورة حم عسق وسورة حم السجدة كذا سماها بعض السلف وسورة فاطر. وان سورة الفاتحة من السور ذات الاسماء الكثيرة والمظنون ان بعض اسمائها ليس توقيفيا. واحسب ان الصحابة لم يثبتوا في المصحف اسماء السور بل اكتفوا باثبات البسملة في مبدأ كل سورة وتسمية هذه السورة فاتحة الكتاب قال السيد الشريف في حواشي الكشاف ان فاتحة الشيء اوله فقيل الفاتحة في الاصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب (قلت ونظيره الباقية بمعنى البقاء في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وكذلك الطاغية في قوله تعلى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية في قول ابن عباس اي بطغيانهم بناء على ان الباء سببية) وانما سمي اول الشيء بالفاتحة اما تسمية للمفعول بالمصدر (الاتي على وزن فاعله) لان الفتح يتعلق باول اجزاء الفعل ففيه يظهر مبدأ المصدر (يعني وأول اجزاء فعل الفتح هو المفتتح به الاول فاطلق على المفتتح به لفظ المصدر) قال السيد وقيل الفاتحة صفة فهي اسم فاعل ثم جعلت اسما لاول الشيء اذ بذلك الاول يتعلق الفتح لا بالمجموع فهو كالباعث على الفتح فالاصل فاتح الكتاب (يشير بهذا الوجه الثاني الذي ارتضاه الى ان مبدأ الشيء قد شبه بالباعث على الفتح لان الفتح كان بسببه وان اسناد صيغة فاعل من فتح حينئذ اسناد مجازي من الاسناد للسبب الادعاءي فهو مجاز عقلي. واذ قد كان اطلاق الفتح على الابتداء مجازا لغويا لان حقيقة الفتح هو افراج الباب او نحوه يكون في هذا الوجه مجازان لغوي وعقلي) اما التاء اللاحقة لفاتحة فقال السيد والتفتزاني في حواشي الكشاف هي للنقل من الوصفية الى الاسمية كالنطيحة (والمراد من الاسمية في كلامهما ليس هو العلمية بل المراد انهما صارا اسمين لمقدار معين من كتاب ونحوه اي اسمي جنس قال التفتزاني في حواشي الكشاف « ولعدم اختصاص الفاتحة بالسورة ونحوها كانت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون تأنيث الموصوف في الاصل اهـ فاشار الى ابطال كون التاء للتأنيث بان الفاتحة والخاتمة تستعملان صادقتين على مذكر كما تستعملان صادقتين على مؤنث كقولهم فلان خاتمة العلماء وكقول الحريري « ادتني خاتمة المطاف وفاتحة الالطاف » فانه اضافهما الى المطاف وهو مذكر والى الالطاف وهي جمع لطف وهو مذكر ثم جعل هذا المركب علما على هاته السورة ولا حاجة للغلبة لانحصار معنى هذا التركيب في هاته السورة ومعنى فاتحة الكتاب انها اوله في القراءة او في التنزيل على القول بانها اول ما انزل. واضافة السورة الى فاتحة الكتاب من اضافة العام الى الخاص ان اعتبرنا فاتحة الكتاب علما على المقدار المخصوص من الحمد لله الى الضالين واضافة العام الى الخاص وردت في كلام العرب مثل قولهم شجر الاراك ويوم الاحد وعلم الفقه. والفرق بين ما ورد من ذلك وبين ان تقول انسان زيد باد لمن له ادنى ذوق في كلام العرب ولم يفصح علماء العربية عن وجهه فكان حقا علينا اظهار وجه حسن ما حسن من هذه الاضافة وقبح ما ليس مستعملا



عن ابي الدرداء رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِن دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ والصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْن فإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْن هِيَ الحَالِقَة

البيان

هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي واخرجه البخاري في الادب المفرد وقد وقع في بعض هذه الروايات زيادة : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين

— الفضل الزيادة - الدرجة المراد بها الرتبة - الصلاة والصيام العبادتان - الصدقة الزكاة او مطلق الصدقة - بلى كلمة جواب كنعم - الاصلاح ضد الافساد - ذات البين العداوة والبغضاء واصلاحها اصلاح الفساد بين القوم واسكان الثائرة - الحالقة الخصلة التي من شانها ان تحلق اي تهلك وتستأصل الدين كما تستأصل الموسى الشعر

اعلم أن الشريعة الاسلامية جاءت بمصالح العباد الخاصة والعامة وربط الصلة بين العبد وربه وبين العباد مع بعضهم ليتم العمران على الوجه الاكمل وحببت للانسان طاعة الآله بما يترتب عليها من المثوبة الاخروية كما رغبت المسلمين في عقد الخناصر على الاخوة ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد

منها وذلك ان اضافة العام الى الخاص تحسن اذا كان المضاف والمضاف اليه اسمي جنس اولهما اعم من الثاني فهنالك يجوز التوسع بالاضافة لقصد الاختصاص ثم تكسبه غلبة الاستعمال قبولا نحو شجر الاراك ويوم الاحد عوضا عن ان يقولوا الشجر الذي هو الاراك واليوم الذي هو الاحد وقد يكون جائزا غير مقبول لقلة استعماله او عدم استعماله بالمرة نحو حيوان الانسان فان كان احد المتضائفين غير اسم جنس لم تسغ الاضافة نحو انسان زيد ولذلك جعلوا شهر رمضان منقولا من الاضافة الى العلمية واما اضافة فاتحة الى الكتاب فاضافة حقيقية باعتبار ان المراد من الكتاب بقية الكتاب عدا الفاتحة كما تقول ديباجة التقليد . . .

(له بقية)

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بعضه بعضا ويكونوا من جراء ذلك يدا على من سواهم فاذا تخلق المسلمون بهذا الخلق العظيم امكن لهم توقيف شرور النفس الامارة وابتعدوا عن نتائج الفرقة المهلكة .

وقد اظهر سبحانه عظيم منته بنعمة الالفة في قوله (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) وذم سبحانه التفرقة وزجر عنها فقال جل من قائل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فهذا الامر والنهي ونحوهما كلها تثبت اصلا من اصول الملة الحنيفية يقام عليه هيكل الامة باسرها .

وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم دهرا وهو يثبت هذا الخلق في نفوس المسلمين يرغبهم في الاخوة مرة فيقول : ان اقربكم مني مجالسا احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون . ويقول ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون ويحذرهم من التنافر واسبابه مرة اخرى فيقول وان ابغضكم الى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاخوان . لعلمه عليه الصلاة والسلام ان تمكن ذلك الخلق من النفوس ليس بالهين السهل

وعلى قدر اهتمام الرسول بتكوين هذا الخلق في المسلمين كان اهتمامه بتعهده بعد حصوله او أشد . فترى نصوص الشريعة تترى بامر اصلاح ما تداعى للانتقاض والتهدم حفظا على كيان الوحدة الاسلامية الذي اسسها الرسول من التصدع وتحذيرا من لوازمه الفتاكة قال تعالى (واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فقارن بين طاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين بل هو داخل في عمومها ومرتبته لا تقل عن غيره من الطاعات ولربما فاق كثيرا منها اعتبارا بما يحصل بسبب هذا الاصلاح من مقومات الدين والرحمة بالمؤمنين وكذلك قوله تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالاصلاح بين المسلمين من تقوى الله واعظم انواع الالفة ماكانت الرابطة فيها هي التقوى فكما ان من التقوى الالفة والاخوة كذلك من التقوى اصلاح ذات البين . وكذلك قوله عز وجل (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) فبين تعالى ان من يتولى الاصلاح بين الناس احتسابا له تعالى وابتغاء مرضاته له درجة ممتازة واجر عظيم وذلك بحسب ما يترتب على هذا الاصلاح من الكمالات . وعلى هذا النحو جاء قوله صلى الله عليه وسلم : الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى: قال : اصلاح ذات البين الحديث فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان درجة اصلاح ذات البين مقاما رفيع حتى انها فضلت درجة اعلى انواع الطاعات .

وظاهر الحديث ربما تعارضه بعض النصوص الدالة على ان الصلاة والزكاة والصيام هاته الثلاثة هي من قواعد الاسلام الخمسة التي لا يماثلها شيء من الطاعات فكيف يفوقها اصلاح ذات البين ونحن نجيب عن ذلك باحد امور

الاول ان يكون المراد في قولـه افضل من درجة الصلاة الخ ليس ذلك في الثواب وانما هو في المصالح المترتبة على هذه الطاعـة وتلك الطاعات بل ان تلك الطاعـات لا يكون لها اثر في نفوس المسلمين على الوجه الاكمل الا اذا ساد الصلاح بينهم اما وهم حرب على بعضهم لا يهتـم المسلم الا بخويصة نفسه تعبث بهم الاهواء وتمزقهم الاحقاد كل ممزق فهـذا تقاومه الشريعة بكل الوسائل ولا يرضى الله من عباده الكفر والفساد .

الثاني ان يكون المراد من الصلاة والصيام والصدقة غير المفروضة بقرينـة التعبير بالصدقة

الثالث ان نصوص الشريعـة كما دلت على عظم درجة الصيام والزكاة وعلى الاخص الصلاة، دلت ايضا على ان الطاعة الواحدة لها درجات وتفاوتها يكون بحسب ما يلابس العبد عند ادائه لها حتى انه في بعض الحالات تكون الطاعة وبالا عليه كما جاء في حديث . رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه وكالمرائي في عبادته الذي فضل ثواب الناس العاجل بشكرهم له على ثواب الله الآجل الذي وعده به يوم الجزاء الاكبر فيكون المعنى الذي جاء به الحديث هو ان العبد الـذي صلى وصام وتصدق وهو مع ذلك منغمس في الشرور بل في اعظم الشرور وهو الافساد بين الناس خطره عظيم وبلاءه لم يكن يقف عنده فقط بل يتسرب الى افراد المجتمع الواحد تلو الآخر فهو حرب على الوحدة الاسلامية الـتي اقامها صاحب الشريعة فهو في رتبة المحارب او قريب منها كما يرشد الى ذلك آخر الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين فهو لا ينتفع بعبادته الا من جهة سقوط الطلب واما بقية المراتب فليس له نصيب منها ومن قام من المسلمين باصلاح ما افسده امثال ذلك الشرير فقد احيا سنة الرسول وربط ما تصدع من القلوب على اساس الدين والاخوة الاسلامية ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا فدرجته عظيمة عند الله ورسوله والناس اجمعين ومرتبته لا توصف وحسناته تكاد تبلغ حد الكمال فاين طاعة هـذا باصلاحه ذات البين من صلاة ذاك وصيامه وصدقته ما دام لم تنهه صلاته عن المنكر فهو ليس له من الصلاة الا الصورة ومن كان كذلك لا غرابة اذا كان يتخبط في الفحشاء وليست صلاة هذا هي المعنية في قولـه تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) فهو اتى بالطاعة من حيث الظاهر ولم يفهم منها المعنى الاسمى الذي يجلب له مراقبة المعبود في سائر الاوقات ولو راقبه لما تجرأ على مخالفته بايقاد نار الفتنة بين اخوانه المسلمين .

وهذا الخطر العظيم هو الـذي غاب عن انظار كثير من المسلمين وحسبوا ان الله كلفهم بعبادته وتركهم وشانهم فيما يرتضونـه لانفسهم من طرق الحيـاة فسادت بينهم الفوضى في كثير من النواحي ولو ردوا امرهم الى الله والرسول في حياتهم الدنيا لما كانوا على هـذا النحو من الانحلال والفساد .

وهذا الحديث لم يذكر اسباب الفساد وطرق الاصلاح بل جاء عاما ليتناول مـا حدث في تلك العصور وما سيحدث في مختلف الازمان ولنات على بعضها تذكيرا لاخواننا المسلمين لعلهم يصلحون ما

يقدر كل على اصلاحه عساهم يبلغوا تلك الدرجة التي وصفها النبيء عليه الصلاة والسلام في حديثه .

وهذا بعضه يرجع الى الاخلاق كالنميمة والحسد والوشاية والنفاق والغش والبغضاء كما جاء في حديث دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء وهي الحالقة

وبعضه يرجع الى معاملات الناس مع بعضهم كالخيانة والغصب والاستئثار على الغير والظلم والمماطلة في اداء الحقوق واللدد في الخصومة

وبعضه يرجع الى الجنايات كقتل النفس والبغي على الطائفة

وبعضه يرجع الى الاسرة في المعاشرة كتعدي احد الزوجين على الآخر وعقوق الوالدين ومعاملة احد الابناء بما لا يعين على الطاعة ويجلب الضغينة

وبعضه يرجع الى الحياة العامة كالغلو في التشيع الى فكرة او عقيدة وايذاء الاجوار والغلو في المجادلات وكشف عورات المسلمين

فهذه الاشياء ونحوها مما نتعرض اليه في غير هذا المقام اسباب للفساد مباشرة او غير مباشرة وطرق الاصلاح تكون بعلاجها نفسها وذلك بتهذيب النفوس حتى تدرك خطرها فتبتعد عنها وعلى هذا النحو جاءت نصوص الشريعة لتربية المسلمين تدعوهم الى تجنبها وتسمو بهم عن الوقوع في حبال نتائجها واقامت من المسلمين من يكون ساهرا على تنفيذ هاته الخطة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تجعله خاصا بطائفة معينة بل كل من وقع تحت نظره شيء من ذلك وجب عليه بحكم الشريعة ان يغيره باحدى الطرق التي يقدر عليها واقلها ان يذكر به نفسه ويرشدها حتى لا تؤثر فيها العدوى الاثيمة وكل ذلك الاصلاح انما هو بدفع الفساد من اصله وقبل وقوعه . قد يكون بارجاع الالفة مكان الفرقة بعد وقوع الفساد وهذا النوع من العلاج يكون بطرق عديدة منها الوساطة بكلمة طيبة صادرة من نفس طاهرة وازالة اسباب الفساد ورد المظالم الى اهلها ونصرة الحق والضرب على ايد المفسدين وعدم التاثر بالعصبية بل بالرجوع الى الاصل الجامع وهو الاخوة الاسلامية . واسكان الثائرة بالمعروف والاخلاص في النصيحة . والارشاد الى عواقب الفرقة ونحو ذلك مما يوصل الى الاصلاح المنشود واطفاء نار الفتنة .

وما دام في الامة رجال يعملون بوصايا الرسول ويقومون باعلاء صوت الحق يدفعون الشر عن امتهم فابشر لهاته الامة بحياة مطمئنة ما دامت الأمة تسمع النصيحة وتقدرها حق قدرها .

وعلى عكس ذلك اذا فقدت الناصح الامين واشد من ذلك اذا اعرضت عن النصحاء واستحكم الشر منها حتى اصبحت تفضل الفساد على الاصلاح اما لعدم ادراكها حسنه او لظنها ان ما عليه افرادها هو الكمال . فليعتبر الوا الابصار وليهبوا من سباتهم ويحذقوا اصول الشريعة التي اقامت هاته الامة على الاخوة في الاسلام وليصلح كل ما هو تحت يده وفي متناوله من الفساد والله لا يضيع اجر المحسنين

محمد الشاذلي ابن القاضي

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريف

« ٣ »

حرف اللام

« اللفظ الرائق » في مولد خير الخلائق لحافظ الديار الشامية الشمس محمد ابن ناصر الدمشقي المتقدم ذكره في حرف الجيم مولد صغير الجرم لطيف السياق اوله الحمد لله الذي اصطفى من عباده من شاء واختار موجود بالمكتبة الكتانية منه نسخة خط (تم نسخها عام ١٢٧٧) وهو من النوادر .

« اللفظ الجميل » اختصار الدر المنظم الذي هو في مجلدين كلاهما للشيخ محمد ابن عثمان كذا في كشف الظنون .

« اللخمي » في ترجمة الحافظ ابن الربيع من النور السافر عن اخبار القرن العاشر (للسيد محي الدين عبد القادر ابن شيخ العيدروسي ص ٢١٧) وجدت بخط شيخنا الشيخ ابي السعادات الفاكهي المكي قال وجدت بخط شيخنا الحافظ وحيد الدين عبد الرحمن بن علي الربيع ما لفظه الحمد لله مصنف كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم المفتتح بالحمد لله الذي شرف الانام بصاحب المقام الاعلى هو للشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن علي ابن قاسم المالكي النجاري الاندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحديدي وهذا المولد هو الفصل ٩ من كتابه الذي صنفه في الوعظ والدقائق وقفت على الجزء الاول منه اشتمل على خمسة وعشرين فصلا بعد طول البحث عن مؤلف هذا المولد وعدم معرفته عند اكثر العلماء وهذه فائدة تساوي رحلة اه ما وجدته قلت وبذلك يعلم عدم صحة نسبة هذا المولد لابن الجوزي فاني سمعت كثيرا من الناس ينسبه له والله اعلم اه كلام صاحب النور السافر قلت وللشيخ محمد مقروتي ابن عمر بن عرب الجاوي المكي فتح الصمد العالم عن مولد الشيخ احمد ابن القاسم قال في اوله هذا شرح نافع على المولد الذي الفه الشيخ احمد ابن القاسم المالكي الشهير بالحديدي على ما ذكره السيد احمد المرزوقي لكن اشتهر على السنة الناس ان هذا المولد لابن الجوزي فيحتمل هذا على ان كلا منهما الف مولدا وكان تاليف احدهما مماثلا لما الفه الآخر كما وقع للسيوطي والقسطلاني ويحتمل ان

احدهما الف الابيات والآخر الف المنثورات كما افاده بعضهم ولاجل ذلك سميت هـذا الشرح باسمين احدهما فتح الصمد العالم وثانيهما البلوغ الفوزي لبيان الفاظ مولد ابن الجوزي الخ وهذا الشرح في ص ٥٣ في القالب الكبير اتمه مؤلفه سنة ١٢٨٦ (طبع بمصر عام ١٣٢٨) بمطبعـة دار الكتب العربية الكبرى .

حـرف الميـم

« المولد الجسماني والمورد الروحـاني » لابن الشيخ ءاق شمس الـدين حمـد الله ذكره في كشف الظنون .

« المولد الجليل » لفتح الله بن محمد المناوي الاحمدي الشاذلي مولد مطبوع بمصر عام ١٣٣٨ ص ٨٨ وطبع ايضا مرارا عـام ١٣٠٠ - وعام ١٣٠٢ - وعام ١٣٠٦ - وعام ١٣٠٨ - اوله الحمـد لله الذي انار الوجود بطلعة خير البرية .

« المولد الزاهر » للمولد الطاهر للشيخ يوسف الطاهر ابن احمد ابن ابراهيم طاهر الشبراوي المصري المالكي اكمله عام ١٣٢٨ - وطبع بدمشق في ص ٨٠ - اوله الحمد لله الـذي اطلع من سماء الازل شمس الحقيقة المحمدية .

« مولد المدابغي » هو العلامة شيخ الديار المصرية حسن ابن علي المدابغي الازهـري الشافعي المتوفى سنة ١١٧٠ - له مولد صغير اشتهر في مصر وغيرها قال في اولـه سئلت في اختصار المولـد الشريف للشيخ الغيطي فاجبته الى ذلك وزدته فوائد جمة فتح بها القادر المالك فقلت الحمد لله الـذي انار الوجود بمولد سيد المرسلين الخ وقد ساق الاسناد اليه الشيخ الشنواني في ثبته قال مولـد النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ حسن المدابغي ارويه سماعا عن شيخنا الشيخ عطية الاجهوري وعن شيخنا الشيخ علي العدوي سماعا عن الشيخ المذكور واما القصة للمدابغي فارويها سماعـا من الشيخين المذكورين والشيخ محمد البسلي عن المؤلف اهـ وقد خدمه المصريون كثيرا فللعلامة المسند الشمس محمد ابن علي الشنواني الازهري الشافعي المتوفى بمصر عام ١٢٣٣ عليه حاشية في عدة كراريس اولهـا الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الانبياء الى يوم القيامة وخرق لهم العادات الخ فهذه تقييدات جمعناهـا من تقرير بعض مشائخنا الاعلام ومن متن المواهب وحاشية الطرابلسي ومن بعض كتابات وجدتها بخط بعض الفضلاء ومن الاصل للغيطي وسميتها الجواهر السنية بمولد خير البرية اتمها عام ١١٨٧ - وفي المكتبة الكتانية نسخة اخرى من هذه الجواهر منقولة من خط الشنواني وممن خدمه من المصريين العلامة الشيخ عبد الله ابن على الدمليجي الشافعي الازهري الشهير بسويدان شرحه في عدة كراريس قصد بشرحه حل الفاظه وتبيين مراده على وجه الاختصار اكمله عام ١١٩٥ - قال في ءاخره هذا ءاخر ما

تيسر جمعه على وجه الاختصار في هذا الزمان الذي توالت فيه الاكدار فضاع فيه الحق في هذه الديار والامصار وظهر فيه امارات البوار اللهم اقبضنا اليك غير مفتونين ولا ضالين ولا مضلين ولا مغيرين ولا مبدلين . وفي المكتبة الكتانية من الشرح المذكور نسخة نقلت من خط المؤلف عام ١٢٢٩ - بخط عبد الرحمن بن محمد الدمشقي الشافعي وممن خدمه علامة الديار المصرية الشيخ محمد الامير الكبير المالكي الازهري المتوفى عام ١٢٣٣ - له عليه تعليق في كراريس بالمكتبة الكتانية منه نسخة وممن كتب عليه ايضا شيخ هؤلاء علامة الازهر الشيخ عطية الاجهوري له عليه حاشية في كراريس بالمكتبة الكتانية منها نسخة فرغ من كتابتها عام ١١٩٧ - بخط تلميذه محمد عاشور وفي المكتبة الكتانية نسخة من مولد المدابغي هذا عتيقة بهامشها تحريرات وعلى اولها اعلم ان جميع ما على هذه النسخة نقلته من حواشي نسخة العلامة الشيخ محمد زهران الاجهوري التي كتبها بخطه وكتب على اولها ما نصه الحمد لله قد كنت كتبت على بعض مواضع من هذا الكتاب في نسخة اخرى ما قد يخفى جوابه على ذوي الالباب فعرض ذلك على شيخنا المؤلف فاجاب عن اكثره على ما ستراه غير متكلف ثم كتب على ءاخر النسخة الحمد لله قد اطلعت على ما كتبه بالهوامش هذا الفاضل الفهامة فاعجبني ذلك ووددت ان يطلع على جميع ما جمعته كثر الله من امثاله اه وهذا الانصاف عجيب وممن خدم المولد المذكور من الازهريين العلامة الشيخ احمد الصاوي المالكي الازهري محشي الجلالين المتوفى عام ١٢٦٤ - له عليه تقارير جمعها تلميذه السيد محمد الششتي ونسخته التي بخطه في المكتبة الكتانية .

« مولد الميقاتي » هو ابوالحسن نورالدين علي ابن الميقاتي الحلبي المتوفى عام ١٢٢٠ منه نسخة بالمكتبة الاسكندرية على ءاخرها خط المؤلف بتاريخ ١١٧٣

« مولد العزب » هو العالم الصالح الشيخ محمد العزب الدمياطي ثم المدني الشافعي مولد منظوم اولـه :

الحمد لله الذي قد اوجدا من نوره نورا به عم الهدى

وهو مطبوع بمطبعة الفيحاء بالشام في ص ٩

« مولد الماريني » هو الاديب علاء الدين ابن مشرف الماريني اوله الحمد لله الذي حلت سحائب فضله في ربيع الخ منه نسخة في مجلد في المكتبة السلطانية بمصر تم نسخها عام ١١٠٧

« مورد الصفا » في مولد المصطفى لمفتي بيروت الصوفي الاديب البارع صاحبنا الشيخ مصطفى ابن محي الدين بن مصطفى نجا البيروتي له مولد منظوم اوله :

باسم باري الخلق ذي العرش الرفيع ابتدى في نظم ميلاد الشفيع

وهو نظم بديع لا يوجد في الموالد المنظومة اعذب منه طبع في المطبعة الادبية في بيروت عام ١٣١٨ في صفحات ١٧

(يتبع)

كشف شبهات

ورد على ادارة المجلة رسالة من مدينة ليون من مدن البلاد الفرانسية يطلب صاحبها كشف شبهة قام بها احد الملحدين هناك ليضل الناس ونص الرسالة بعد الديباجة .

ايها السادة ان هنا في مدينة ليون بفرانسا انسان بربري قد قال لنا في احدى محاضراته او دسائسه ان هذا القرآن المعجز الذي جاء به محمد هو من عند نفسه . وان لا آله ولا رسول ولا ملك ولا روح . وانما محمد من فرط ذكائه اخترع الدين الاسلامي وجعله صالحا لكل زمان ومكان واحاطه بسياج القوانين الغير القابلة للالغاء وجاء بهذا القرآن المعجز وتحدى البشر لكونه يعلم من نفسه انه فوق البشرية . فلهذا تحدى الخلائق تحدي الواثق بنفسه انه غالب « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » لكون محمد يعلم علم اليقين بانه لو اجتمعت ملايين الفلاسفة . وفكروا على ان يضاهوه في فكره الخارق لكانوا منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعلى بما لا يتصوره العقل لكون محمد شذت الطبيعة في خلقه من علة اقتران ابويه لكونهما فيهما قابلية فوق (السبرمان) فجاء منهما محمد الخارق في تركيب جسمه الخارق وفي عقله الخارق وفي كل احواله .

فأبواه عبد الله وآمنة هما علة هذا الخرق لناموس الطبيعة حيث جمعت المصادفة بينهما في بلد واحد وعصر واحد مع ان الطبيعة لا تشذ بخلق واحد من امثال عبد الله الا في ملايين السنين بل مرة واحدة في الوجود كله . واما آمنة فالشذوذ بخلقها من غرائب الطبيعة لكون آمنة عقلها يرجح على عقل مليون فيلسوف وهذا محال ان تشذ به الطبيعة مرتين في الوجود ...

الجواب

تمهيد

الانسان كلف بالبحث عن السعادة واسبابها واستعمل مواهبه لادراكها فمرة وفق وكثيرا لم يوفق او ظن انه وفق وهو في الحقيقة اخطأ الطريق وسار على غير هدى حتى حسب انه بلغ الغاية وما هو ببالغها فضل واضل وما علم ان هذا العقل الذي استعمله لبلوغ درجة الكمال قد يقف به في أثناء البحث او يغور فينتج له خلاف الواقع اذا لم يحطه بسياج يتقي به بنيات الطريق .

ولا يغتر الانسان بما يبدو له من ظاهر قول الحكماء ان الانسان بعقله يقدر ان يصل الى المثل الاعلى للكمال الانساني فيرخي العنان لعقله فيصبح يخبط خبط عشواء على غير قاعدة ولا اساس . بل احكام العقل انما يعتد بها اذا كانت مقامة على صحيح البرهان (وليس كل عقل بمتهيء لبلوغ هذه

المرتبة هـذا من جهة . ولان مرادهم بذلك الكمالات الداخلة تحت نظام هذا العالم الدنيوي دون الكمالات التي تدرك الروح بها مدارج الارتقاء في العالم الاخروي)

وعلى هذا المنهج نسير في بحثنا عن سعادة البشر المنشودة في معرفة ان هـذا العالم له صانع وهـذا الصانع هو الآله الواجب الوجود الذي يجب ان يخص بالعبادة والانقياد وانه الفاعل لما يريد وانـه اصطفى من عبـاده من يكون سفيرا ورسولا منه الى النوع الانساني ليصحح له ما عجز عن ادراكه واوحى الى من اصطفاهم بتعاليم ترجع في جملتها وتفصيلها الى سعادة هذا النوع من الخليقة . وذلك السر المكتوم الذي لم يحض به الا من اراده الله لتبليغ رسالته هو الذي اطلق عليه اسم الـوحي الآلهي فمدار البحث هو الآله والرسول والوحي .

الآلـه

اعلم ان البشر ليسوا سواء في معرفة الآله وادراك ان هذا العالم لا بد ان يكون له صـانـع حكيم هو الذي اوجد كافة المخلوقات ولا في معرفة كنه العالم وانه مركب من جواهر فردة وان هاته الجواهر تتكيف باعراض لا تبقى زمانين او ان مادته ازلية وما هو مسمى الازل ولا في معرفة حياة اخرى بعد حياة المشاهدة يعبر عنها بحياة النشور وان تقار الناس كلهم على الخضوع الى قوة اسماها البعض بما اصطلح عليه واسماها آخر باسم غير الاسم الاول والكل مذعن الى ذلك الناموس المختلف في تسميته الخاضع الى عظمته المدرك بالبداهة انه قوة اسمى من جميع القوى الشاعر باحتياجه اليها عند الشدائد وفي ادق الحالات . فهو يتصورها في ساعة الرخاء لا على النحو الذي تتجلى له عند تراكم المحن والشدائد . ومن أجل ذلك يختلف تعبيره وهي لا تتغير وتصدر عنه انفعالات يتبعها انعـكاس في الخارج فتراه يقر بما انكره من قبل .

فتعين حينئذ ان نرجع الى المنطق السليم الموصل الى الاعتراف بالحقيقة التي لا مناص منها ونسلم به من الخطأ في البحث .

وذلك ان البحث عن آله الكائنات يكون من بحثنا في الكائنات نفسها ضرورة انهـا متاثرة بغيرها والاثر لا بد له من مؤثر والا لزم الترجيح بدون مرجح وهـو محال في نظر المفكرين وتولد المتأثرات عن هذا المؤثر على الوجه التي هي عليه يوجب الاعتراف بوجوده لا على نحو باقي الموجودات المتـأثرة بايجاده والا لكان مفتقرا لمن اوجده وهكذا الى ما لا نهاية له فيتوقف العقل عند ذلك في ادراك حقيقته بعد تسليمه بوجوب وجوده من جراء دلالة الصفة على وجود الموصوف والا لزم قيام الصفة التي هي من الاعراض بذاتها وهذا مستحيل عقلا وحسا فلم يبق معنا الا تلك المعرفة المتحصلة من تلك الدلالة فمعرفة الآلـه الواجب الوجود توصل اليها العقل من ادراكه ان العالم

المتركب من الجواهر والاعـراض انما هو اثر لـه مؤثر وهـذا المؤثر هو مصدر سائر الكائنات المركب لاوضاعها على النمط المحدث المشاهد وهو المرجح لانفعالاتها لحكم قد تتوصل اليها بعض العقول السليمة وقد تخطىء في فهمها عقول او تحتار في بعض المرات .

وعلى هذا النحو من التفكير اعترف الانسان بواجب الوجود الآله الذي كبر الاعتراف بـه على من وقف في تفكيره عند حد تسليم بعض الضروريات كدلالة الاثر على المؤثر وعدم تسليم مـا سوى ذلك من لوازم تلك البراهين .

ونرى من تفكير بعض الفلاسفة ان العالم بمادتـه واشكاله مجموع عناصر تتألف من الهيولى والصورة وبقوة الجاذبية والدافعة تتكون الاشكال وتتسلسل عنها الحوادث ويتراجع بعضها الى بعض على حالات متغايرة ونسب مختلفة وهذا التفكير ونتائجه المفروضة لا يعدمنا الحجة بالزامهم الـلازم الاول في بحثنا الاول من ان المادة المؤلفة منها العناصر سواء سلموا انها مؤلفة من الجواهر الفردة ام لم يسلموا هي قابلة للتكيف ويعرض لها الاختلاف بحسب العوارض التي تكون عليهـا والاستحالات التي انتهت بها الى العناصر وهذه التكيفات ترجع في تقلباتها واختلاف اشكالها الى قوة عظيمة ذات علم واختيار تتأثر بها المادة وتكون هي مصدر ذلك التاثير وهي ما نعبر عنه بالآله الفاعل المختار والقول بتوالد القوى من بعضها بمفعول الجاذبية والدافعة لا يغني فتيلا فهي زيادة على كونها ترجع في اصلها الى قوة فوق القوى هي مصدر تلك الانفعالات كذلك هي متاثرة من ناحية تكيفاتها العرضية كتأثرها من الناحية المادية وترجيح بعض انواع التولدات والاستحالات على البعض الآخر .

والتعبير عن التاثير بالخلق وعن المؤثر بالخالق كانه هو الذي احرج بعض النفوس البشريـة التي لا ترى الا الاسباب الظاهرة كما احرجها اطلاق اسم الآله عليه وذلك ضرب من المكابـرة بعد التسليم والاعتراف بالقوة العظيمة التي هي مصدر لسائر المؤثرات .

وبما ان التفكير البشري قد يسلم بعض الضروريات ويقف متحيرا في تسليم لوازمها وان ادراك كنه الآله امر ليس في مقدور البشر الوصول اليه وقصاراه ان يتوصل بدلالة الاثر على وجود المؤثر وصفاته وافعاله وان ادراك ما وراء المادة ليست فيه العقول على سواء فلا بـدع اذا قلنا ليس في وسع الانسان ان يدرك بسهولة من الله ما يجب ان يدرك وانما تيسر ذلك لمن اختصه الله بنور البصيرة وسرى بشرف الاقتداء ذلك النور الى سائر الاقوام بهدى نبوي اذا بلغه الانسان كان اسرع النـاس الى اتباعه ويحصل له العرفان الصحيح على وجه يليق ان يعلم تحت ضوئه الجلال الآلهي الذي تحيرت لافكار فيه . ويتبع بذلك الهدى من آثار الفاعل ما يدله على وجوده ومن اتساق المصنوعـات على صفات الصانع الحكيم ومن احوال الحياة ما يتولد منه قوة الايمان .

لذلك كانت الامم في حاجة الى ذلك النور النبوي فاقتدى الناس بالانبياء واذعنوا لتعاليمهم لمـا

تبين لهم من الحق وصحة دعواهم ورجحان عقولهم فانقادوا لهم عن طواعية واختيار ولذلك ارسل الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا تكون على الله حجة بعد الرسل .

وهنا ننتقل الى القسم الثاني في بحثنا وهو الكلام على النبيء والرسول .

النبي والرسول

إذا تقرر ان هذا العالم له آله هو الذي احكم صنعه وله من الصفات ما يناسب كماله وان البشر بلغ ما بلغ من صفات الكمال لا يصل بمواهبه الى ادراك المثل الاعلى وانه بفطرته طموح الى المعالي بيد انه يعجز عن ادراك ما وراء المادة من مجاهل الروح مع كونه مركبا حيا تلتقي فيه المادة بالروح وليس للانسان وجود اذا فقد هاته الروح الجاثمة فيه

فكيف له ان يخبُر ما وراء عالم المشاهدة اذا لم تكن قوة نافذة توضح له ما هو عاجز عنه بمواهبه لذا كانت بعثة الرسل امرا ضروريا يبلغ بهم النوع الانساني الى اسمى تلك الغايات حيث انهم يبلغون عن الآله ما خفي عن الانام مما ليس في وسع الانسان تبصره مع شدة الحاجة الماسة اليه ضف الى ذلك سائر مشاكل الحياة التي ما فتيء البشر في خلاف عن صالحها من فاسدها فهم الذين يوضحون له طرق السعادة واسبابها ويكشفون الغطاء عن دخائل الامر فينجلي للانسان ما هو جاد في تحصيله .
بقي ان ننظر في مشخصات هذا النوع من البشر وما هي مميزاته والى اي حد يبلغ بهم الكمال ومتى يكون لزاما علينا ان نصدق بهذا الرسول ونكذب ذاك ممن يدعي الرسالة وهو كاذب في دعواه وهذا كله يرجع الى آيات النبوة والرسالة وما يكتنف النبي والرسول في حياته الاولى قبل الجهر بهذه الدعوة وبعدها

اما آيات النبوة والرسالة فعلى قسمين ما يدل على النوع وما يدل على الشخص اما الذي يدل على النوع فهو الامر الذي يتحدى به الرسول او النبيء من عانده وانكر بعثته فتقوم عليه الحجة بذلك وهذا مصدره الله تعالى يرسمه كعلامة لصدق الرسول في دعواه الرسالة عن الآله فاذا ظهرت الآية وظهر العجز عن معارضتها كان ذلك اعظم دليل على اختصاصها بالانبياء وان من ادعى النبوة ولم تكن له هاته الآية ظهر كذبه ولا يلتفت لقوله ومدعاه وعموم البشر ممن لا يدرك الحاجة الماسة الى الارسال اعتمد هذا الاصل وهو آيات النبوة فايقن بوجود الانبياء واذعن لخصائصهم وآمن بهم حتى ان من لم يسبر هذه الخصائص او لم يكن له بها علم كفلاسفة اليونان ومن تخرج من مدرستهم لم يكن له في الانبياء قول .كما لم ينقل لنا عن ان إرسطو وتلامذته فيهم قول . وهذا لعدم العلم بحقائقهم وعدم الاطلاع على خصائصهم وآياتهم لا للعلم بالعدم .

وذهب من عرف النبوة من متأخري الفلاسفة الى انها من قوى النفس وقوى النفوس متفاوتة فمن بلغت منه تلك القوى حد الكمال وصل تلك الرتبة وهذا تخريج منهم امر النبوة على اصول

قوم لم يبلغهم امرها ولم يعرفوا منها كثيرا ولا قليلا وجاء التعبير الحديث فاختار للنبي اسم العبقري ، لكن لما صدم قسم منهم بحقيقة واقعية يدركها كل من بحث عن علة الارسال نحا فريق منهم في تفسير النبوة منحا غير الذي عليه اهل الاديان فقالوا ان الرسالة امر لازم لحفظ نظام العالم المؤدي الى صلاح النوع الانساني على العموم لكونها سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الآلهية الا انهم يفسرونها بما يخالف حقيقتها الواقعية رجوعا منهم الى تلك الاصول التي لا تجامع ما فسرها به اهل الاديان فيقولون ان النبوة او الرسالة امر مكتسب وهذا المذهب الباطل مقام على اصلين . اولهما انهم ينكرون جواز اتصال الملك بالرسول ليتلقى منه الوحي الثاني انهم ينكرون نزول الملك ليتصل بالرسول لاستحالة خرق الافلاك (١)

فانت ترى ان هذا الفريق يقر بحاجة العالم الى الرسل موقن بوجودهم سوى انهم ينكرون اتصال الملك بالرسول ويتغالون فيقولون ان امر النبوة غير اختياري لله تعالى اعتبارا بان صلاح النوع الانساني موكول اليهم فامرهم لازم حفظا لنظام العالم وما اوجبته الحكمة فهو واجب بدون اختيار . تعالى الله عما يصفون

واما الفريق الآخر فقد ظل ينكر النبوات كما انكر بعضهم وجود الآله . وهؤلاء هم الملاحدة الذين عرفوا بالقول بتفاوت القوى النفسية وتوالد القوى من بعضها من غير ان يرجعوا بها الى مصدرها وهؤلاء نلزمهم بوجود فرق بين الذي بلغ بعقله درجة تقارب الكمال المسمى عندهم بالعبقري وبين الرسول المرسل من قبل الآله وذلك ان العاقل الذي من ذلك النوع قد سمت بـه مداركه من تاثيرات العلم المكتسب الذي صقل عقله فارتقى به وكشفت له الحقائق فهو قد اجتمع له سمو المدارك وغزارة العلم فيخيل لساكنيه في العالم انه بما امتاز به عن نوعه الفرد العلم الذي يتمتع من وراء علمه بتلك الانكشافات . يسميها قسم انكشافات ويسميها آخر الهامات ربانية ويسميها غير ذينك القسمين وحي الضمير وفيضان العقل السليم وهي على كل تقدير ليست صفات النبوة

اما النبي فصفاته ليست كذلك فان مداركه امتازت عن العقول وصفت حتى علت الى ارقى مدارج التلقي وتعاليمه مصدرها الوحي الآلهي لا العلم المكتسب

واما القسم الثاني وهو الذي يعرف به الرسول المعين فآياته الخاصة ومميزاته الواضحة وان هذا بشخصه من ذلك القبيل والذي نتعرض له هنا هو بيان نبوة خاتم المرسلين عليه من الله افضل الصلاة والسلام حسبما جاء في السؤال وذلك ينحصر في مسلكين المسلك الاول في بيان آيات نبوته عليه السلام والمسلك الثاني في نقض ما جاء في السؤال من الشبهات

اما الاول فان آيات صدقه صلى الله عليه وسلم كثيرة منها القرآن الذي تحدى بـه معانديه

انظر المسامرة للكمال وشرحها

فعجزوا عن ان ياتوا بسورة من مثله حتى اداهم عجزهم الى تصديقه وبقيت هاته الآية معجزة خالدة الى ان يرث الله الارض ومن عليها . وكذلك ما اكتنفه من مشخصات الرسول التي جاءت على النحو مما كان عليه سلفه المرسلون وما لابسه من مميزات الرسالة وما ظهر في حياته وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى مما بهر العقول من انتشار الدعوة بين اطراف الجزيرة في مدة اقل من ربع قرن ومن اقصى المشرق الى اقصى المغرب في اقل من قرن ودخل الناس افواجا في هذا الدين الذي رفع عنهم الاصر والاغلال التي كانوا مكللين بها

فامر هذا الرسول وما جاء به ودعى اليه لم يكن بدعا من الرسل فهذه ملوك العالم الذين اوفد اليهم الرسول من اصحابه من يبلغ لهم وقومهم رسالته ويدعوهم الى الايمان بالله وحده وان محمدا رسول يسألون الرسل عن خصائص هذا الذي يدعي انه نبي مرسل من قبل الله ولنذكر من ذلك قصة هرقل . . . . .

فقد حدث ابو سفيان بن حرب ان هرقل (١) أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد (٢) فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء (٣) فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال ايكم (٤) اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال ابو سفيان قلت انا اقربهم نسبا فقال ادنوه مني وقربوا اصحابه فأجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه قال فوالله لولا الحياء من ان يأثروا علي كذبا لكذبت عنه (٥) ثم كان اول ما سألني عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب . قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قلت لا . قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا . قال فأشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم . قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون . قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا . قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قلت لا . قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال (ابوسفيان) ولم تمكني كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة (٦) قال فهل قاتلتموه قلت نعم . قال كيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال لترجمانه قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب

---

(١) ملك الروم ويلقب بقيصر (٢) هي مدة الصلح الذي وقع في الحديبية (٣) هي بيت المقدس (٤) الخطاب لابي سفيان والرهط الذين كانوا معه وكلهم كان غير مؤمن بالنبي في ذلك التاريخ (٥) الكذب قبيح في معتقدهم . واتقاء من ان يؤثر عليه في قومه تجنبه وألا لاخبر عن الاسئلة بخلاف الواقع تشفيا وبغضا واستنقاصا وتضليلا . (٦) لاجل ان يستنقصه .

فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال احد منكم هـذا القول فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا قبله لقلت رجل ياتسي(١) بقول قيل قبله . وسألتك هل كان في آبائه من ملك فذكرت ان لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه . وسألتك هل كنتم تتسمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا . فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه . وهم اتباع الرسل . وسالتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون . وكذلك امر الايمان حتى يتم وسالتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسالتك هل يغدر فذكرت ان لا . وكذلك الرسل لا تغدر . وسالتك بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف . فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين . . . . .

فانظر الى هرقل كيف يسأل عن علائم النبوة وبعض خواصها حتى ياتيه اليقين . وكيف كان ابوسفيان بن حرب الذي لم يسلم في ذلك التاريخ كيف كان يتحرى الصدق وهو مع ذلك يتحفز لو تسمح له الفرصة لدس شيء من شأنه ان ينفر ويضل الناس به .

واما المسلك الثاني فالشبهة التي جاء بها هذا الدعي تنحصر في نكران ان يكون القرآن من عند الله بعد تسليمه اولا انه معجز وانه صلى الله عليه وسلم تحدى به البشر فعجزوا على ان يأتوا بمثله وتسليمه ثانيا انه لو اجتمع فلاسفة العالم في مختلف العصور لما قدروا ان يدركوا ما وصل اليه هذا النبيء وهم منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعلى . وتسليمه ثالثا ان الدين الذي جاء به كان صالحا لكل زمان ومكان محاطا بسياج القوانين الغير القابلة للالغاء وان جميع الشرائع الاولى نقضها العلم ما عدى القرآن الذى لا يقدر على نقضه احد . فهذه التسليمات الثلاثة تصلح ان تكون ردا عليه إذا علم ان هذا النبي هو رجل امي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق المعارف عن استاذ قصارى إمره انه رعى الغنم في صباه وخرج تاجرا في شبابه لا يعلم من طرق الحياة الا كما يعلم اهله . وما له من الصفات النفسية لا يقدر به وحده ان يحدث في العالم هذا الانقلاب العجيب ويثور على الاديان كلها فينسفها نسفا ويقضي عليها بعد ان يقيم الحجة على انها ليست تلك التي جاء بها الرسل ويحول تفكير العقل عن مجراه الذي آنسه الى ادراك الحقائق كما هي فيصبح سياسيا لا كالسياسين ومشرعا لا كاهل القانون الى غير ذلك مما لا يتحمله المقام الآن فكيف يصح ان نحكم عقولنا فيه على ضوء هذه المعلومات فنستنتج انه سمت به مداركه حتى اتى بما تعجز عنه فطاحل الفلاسفة وان هذا القرآن جاء به من عنده وان هذه الشريعة هو الذى سطر بنودها بمواهبه اجل لو كان هـذا القرآن

(١) يقتدي

كلامه ولم يكن موحى به اليه ولا هو بكلام الله فما بالنا نراه غير جار على الاسلوب الذي جاءت به السنة التي هي من كلام الرسول لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى فالفرق الذي بين الكلامين اكبر دليل يدلنا على اختلاف المتكلم وهذه الحقيقة لم تخف على المشركين واهل الكتاب الذين كانوا في حرج عندما بلغتهم الدعوة ولولا تلك الفوارق لقالوا كما قال هذا المعاند انك تنطق في كل كلامك على نمط واحد فما بالك تدعي هذا لله وهذا لنفسك . وما نقل الينا انهم ادركوا الاعجاز في كلام الرسول وغاية ما هنالك انه تحداهم بالقرءان فحسب فعجزوا عنه لا عن سواه

واما دعوى انه صلى الله عليه وسلم رجل شذت به الطبيعة من علة اقتران ابويه الى ان يقول لكون آمنة عقلها يرجح على عقل مليون فيلسوف الخ فهي دعوى مجردة لم يقم على صحتها اي دليل بل الواقع بخلاف ذلك فان ابوي النبي لم يظهر عليهما من المميزات ما يفوق اشراف قريش وغاية ما جاء في وصفهما انهما شريفان في قومهما تعلوهما المهابة ونحو ذلك من الصفات .

فاين هذا من دعوى رجحان عقلهما على عقل مليون فيلسوف واين آثارهما اذا كانا على نحو ما ذكر وفي وسع الانسان ان يتخرص بما شاء لكنه لا يقام لكلامه وزن الا اذا اقام عليه الحجة اما مجرد القول ان محمدا شذت به الطبيعة وعلة ذلك اجتماع ابويه الذين فاقا بعقليهما عقول سائر الفلاسفة فهو كلام منقوض من اصله حيث ان الواقع يخالفه وكذلك قوله ان تركيب جسميهما ليس لعقل ان يحدد صورة تركيبهما وقوة قابليتهما لولادة انسان لاكالبشر فهي اوهام اداه اليها ما بهره من صحة الشريعة الاسلامية فكبر عليه ان يقر بالرسالة بعد ما اقر بصحة تعاليمها وما دام هذا المكابر يؤمن بسمو هذا العقل ويؤمن انه لا يتأتى لاي فيلسوف ان ينقض هذا القرآن الذي جاء به هذا الامي صلى الله عليه وسلم فما راعه ان لا يؤمن بما تضمنه القرآن ويقتدي براس الفلاسفة الاوحد عليه الصلاة والسلام ويهجر تقليد اولئك الفلاسفة الذين اقر بانهم دونه بمراحل .

على انا لسنا في مقام نصحه وانما هي الزامات كلامه . واضيف الى ذلك نوعا آخر من النقض وهو انه كيف يصح له ان يقول ان القرآن لا ينقض ولو اجتمع لنقضه فلاسفة العالم في مختلف العصور ثم بعد ذلك ينكر الاله والرسول والروح والقرآن لا تكاد تخلو سورة منه عن ذكر احد هذه الثلاثة واقامة الادلة عليها .

فهو ينكر الآله ويقر بصحة القران ويؤمن بعدم جواز نقضه والقرآن يقول : ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون . وهو ينكر الرسالة ويسلم صحة القرآن والقرآن يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .

وهو ينكر الروح ويؤمن بسلامة القرآن من النقض والقرآن يقول : ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي

أبعد هذه المتناقضات الظاهرة في كلامه يقام لكلامه وزن ويضاع الوقت في الاصغاء الى ترهاته . ولننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث

الـوحي

هو التعاليم التي يتلقاها النبيء من قبل الله وتحل في نفسه بواسطه الملك او بدون واسطة مـع علمه ان ذلك من قبل الله وهذا كله يفارق به الوحي الالهام حيث ان الالهام حديث النفس تنساق اليه عن وجدان من غير ان تتنبه الى مصدره ولا استحالة في شان الوحي الآلهي يحكم بها العقل فان مراتب النفوس تتفاوت كما ان العقول تتفاوت فقد تزكوا بعض النفوس الى حد انها تكاد تلحق بالارواح المجردة وهذا من القضايا المتفق عليها عند اهل النظر والمشاهدة اكبر دليل . فلا غرابة اذا بلغت بعض النفوس من نقاء الجوهر بسلامة الفطرة ما يكون لها اكبر مساعد لتلقي الفيض الآلهي والاتصال بعالم ما وراء المادة فيحصل لها من الانكشافات ما حجبته عن البصائر ستر الانسانية الكثيفة وما دام الانسان مركبا من المادة والروح فايهما صفا الا وتغلب على الآخر

اما تلقي النبيء الوحي بواسطة الملك فهذا ايضا لا استحالة فيه ما دمنا متفقين على عدم استحالة وجود ارواح يشملها الوجود الكوني حالة فيما هو الطف من المادة بل العلم اقر ذلك ولم يخالفْ الشرائع فيه واتصال الملك بالنبيء لا دليل يعارضه واما القول بعدم امكان خرق الافلاك فهاته قضية مبحوث فيها ودليلها مخدوش في مقدماته التي ركبت على اوهام او ظنون ما زالت بعيدة عن الحقيقة وما يدريك ان البحث العلمي المجرد سينتج تسليم امكان ذلك الاتصال وغاية ما هنالك عدم الاستحالة وهي الدرجة الاولى في الانتاج

هذا ما امكن ذكره في الجواب عن تلك الشبهات . واذا بقي على الناظر توقف فليخاطبنا في كل ما اشكل عليه عسانا نهتدي الى وجه حله .

وبعد فاننا نهب باخواننا المغاربة المقيمين بليون وسائر بلاد اوروبا ان يقعـوا في حبال امثـال هؤلاء المتصيدين ويبتعدوا عن مجالسهم وليعملوا على دعوة عالم من علماء المسلمين ليقيم بين اظهرهـم ويرجعوا اليه في شؤونهم الدينية ويدفع عنهم امثال تلك الشبهات . ونحن بدورنا لا نألو جهدا في كشف كل ما يشكل عليهم امره والله يوفق الجميع الى الصواب واعلاء هذا الدين انه قريب مجيب .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الاخلاق ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها (٢)

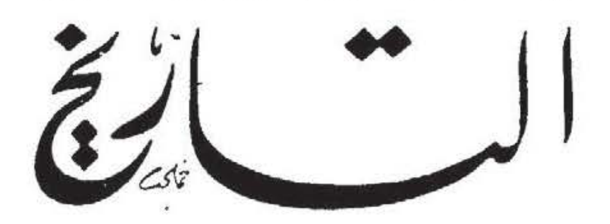
ذكرنا في حديثنا السابق عن آداب الزوجية ان هذا البحث يرجع الى ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين وقد اشبعنا القول في هذه النقطة في العدد الثامن من المجلد الاول فليرجع اليه من اراده . الشعبة الثانية والثالثة في بيان آداب المعاشرة وآداب المفارقة والى شرح هذين الفصلين نسوق الكلام في هذه العجالة .

اعلم ان ارتباط الزوجين بعضهما ارتباط الفة واحتكاك دائم متصل الحلقات فان رابطة الزوجية من اقوى روابط الصلة بين الافراد فبه تندمج مصالح كل واحد من الزوجين في مصالح الآخر حتى لا يعود يشعر باستقلال مصالحه عن مصالح الآخر فتراه يفرح بكل ما يفرح به صاحبه ويسوؤه جميع ما يسوء صاحبه ويرى كل واحد من الزوجين ان اي نفع يناله شريكه فهو له وان اي ضرر يقع على شريكه فهو عليه واذا كانت صلة الزوجية على هذا النحو من الاهمية فلا بد من احاطتها باسوار منيعة تحميها من صروف الدهر وترد عنها كيد الكائدين وما ذلك الا بمراعات قواعد الالفة وحسن المعاشرة فعلى الزوج ان يعتبر الزوجة شريكته في حياته ومصالحه وانها عضو منه يسرها ما يسره ويغيضها ما يغيضه فيشركها في اموره ويستشيرها في شؤونه ويعاملها بالحسنى ويحميها مما يحمي منه نفسه وولده ولا يقصرها على قضاء لبانته واعتبارها آلة لهو يأوي اليها في اوقات انسه وفراغه ليمتع بها نفسه حتى اذا قضى منها حاجته رماها بكلتا يديه ولم يزد على محادثتها في شؤون البيت .

المرأة كائن حي له من الاحساس والشعور وعليه من المسؤولية مثل ما للرجل وما عليه وهي شطر الامة فلا يحسن بنا اهمال شطرنا واعتباره جزءً مهملا لا يصلح الا للهو وقضاء الوطر بل علينا ان ننتفع بكل جزء منا وان نستعمله فيما اعدله . فليفهم كل واحد من الرجل والمرأة وظيفته في الحياة وليعمل على تكميل نفسه والقيام بواجبه وليتعاونا على مصالحهما كشريكين يعلم كل واحد منهما ان ما يجنيه احدهما من المنافع فهو لهما وما يقع لاحدهما من الخسارة فغرمه عليهما

واذا كانت طبيعة كل واحد من الزوجين قاضية بان يقوم كل واحد منهما بمصالحه بمعزل عن الآخر ويستقل باموره التي هي امس بوظيفته فالزوج يعمل خارج المنزل في مصنعه او في مكتبه او في مزرعته او متجره ليحصل ما يعول به اهل بيته المسؤول عن اعالتهم فيهيء لهم ما يحتاجونه من مسكن وملبس ومطعم وغير ذلك من لوازم الحياة . والمرأة تعمل في البيت لتهيء لزوجها وولدها

بيتا نظيفا منظما مستكمل الحاجات والضروريات وتقوم على تربية الطفل وتنمية جسمه وعقله وتهذيب روحه بما تزرع فيه من فضائل يشب عليها حتى تصير فطرية فيه تزول الجبال ولا تزول فان وراء ذلك تعاون واشتراك بالرأي واسداء النصح وابداء الملاحظة فعلى الزوج ان يطلع زوجته على ما يعرض له في عمله من كل ما يحتاج فيه لرأي مع رأيه كما يعرض على صديقه وعلى اخيه من الرجال فعليه ان يعرض الامر فيه على زوجته لتشعر بأنها عضو في هذا المجتمع الانساني وانها كالرجل يمكن ان تؤدي نفعا عاما او تقوم بحق مشترك كما ان على المرأة ان تحدث الرجل في امورها البيتية وما اليها من شؤون تربية ابنائها واصلاح ملبسهم ومأكلهم وشؤون ترتيب امور المنزل وشؤون الطبخ هذا عدا ما يجب ان يحدثها به من الشؤون العامة والاخبار العالمية ويسترعي انتباهها للشؤون الاصلاحية العامة وفي عالم الاختراع والابتكار على الخصوص وعلى الاخص ما يستجد في صفحة السيدات وشؤون المرأة فيخلق فيها بمثل هذا الحديث شعورا فياضا بالعزة وحب العمل فتنشط للقيام بواجباتها وتوفير سبل السعادة لاهل منزلها ولن تجد منزلا سعيدا توفرت فيه اسباب الهناءة لاهله والا وتجد عليه امرأة عاقلة قائمة بواجباتها العائلية على اكمل وجه ولا يتم هذا للمرأة الا اذا كان بينها وبين زوجها حبا متبادلا وهوى مشتركا فان المرأة اذا شعرت بوفاء زوجها وحبه لها محضته النصح وادت كل ما في وسعها تأديته له من وجوه المبرة والاحسان وفي الحكمة القديمة « اذا رأيت رجلا موفقا فيما يحاوله مسدد الخطى الى الهدف الذي يرمي اليه فاعلم ان وراءه امرأة يحبها وتحبه » فان لم تأتلف الارواح ولم يحصل الازدواج المطلوب من الزواج بعد تجربة ليست بالقصيرة بحيث وجد نفرة منها او وجدت نفرة منه ولم يتمكنا من القضاء على تلك النفرة بعد محاولات كبيرة من الطرفين فانه قد يتمكنا من القضاء على تلك النفرة الاولية بسبب حسن اخلاقهما وطيب معاشرتهما فكثيرا ما شاهدنا زوجين يظهر عدم توافقهما وركون احدهما للاخر اول عهدهما بالزواج ثم لا يلبثان ان يحصل بينهما ائتلاف كبير وميل ومحبة لم تكن ليحصل شيء من ذلك لولا صبرهما في اول الامر وركون احدهما للاخر مدة يسبر فيها اخلاقه وتربيته وحسن ادبه حتى اذا وجده على احسن ما تتطلب المعاشرة الزوجية انقلبت نفرته ميلا ثم ينقلب الميل حبا وهكذا الى ان يصلا الى درجة التحابب والتوادد العليا فيحصل المقصود من رابطة الزوجية ويتم المأمول فان لم يتمكنا من القضاء على تلك النفرة واستمرت معهما او زادت رغم محاولتهما لجئا الى ابغض الحلال وهو الطلاق الذي به تنفك تلك الرابطة التي لم يتمكنا من احكام عقدها (كما قال تعلى فإمساك بمعروف او تسريح باحسان) ولا شك ان الافتراق في مثل هذه الحالة خير من الاستمرار على الزوجية الفاقدة لروحها وهو الحب المتبادل والهوى المطاع فالطلاق مبغوض في ذاته لما فيه بحسب صورته من قطع لرابطة هي من اعظم الروابط المفيدة والشركات الرابحة بين البشر ولكنه عند الالتجاء لهذا القطع حيث لم تتيسر اسباب الربط والتحصيل على النتائج المرجوة من وراء هذا العقد



صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور النياشين التونسية

ملخصا من كتاب العيون النرجسية في الاوسمة التونسية لمحرره *

العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الاوسمة الافتخارية وعلامات الامتياز ليست من اوضاع الدول الاسلامية وانما هي من مبتكرات الامم الاروباوية كان ظهورها عندهم حوالي القرن الرابع عشر للميلاد وبتوالي السنين والاعوام اتسع نطاقها عندهم فكان في مبادي القرن التاسع عشر لكل دولة نيشان او اثنان او اكثر ومن اعرق تلك الدول في هذا النظام الدولة الفرنساوية صاحبة وسام اللجيون دونور اخترعه نابليون الاول في سنة ١٨٠٢ لمكافاة ارباب الخصال الحميدة من العساكر وغيرهم. اما في الدول الاسلامية فان اوسمة الامتياز لم تعرف عندهم الا في خلال القرن الماضي اقتبسوها عن الامم الاروباوية بعد رسوخ قدمها وتدخلها في احوال الشرق ويلوح ان ظهورها في الاول كان ببلاد الفرس وعن الفرس اخذ

فالافتراق الذي لا ضرار فيه خير لا محالة ثم ان النفرة لا يخلو اما ان تكون من قبله او من قبلها فان كانت من قبله فعليه ان يطلقها طلقة رجعية وهي التي يتمكن فيها من المراجعة ما دامت في العدة فكثيرا ما يندم الزوج على الفرقة ويظهر له خطأه في التعجيل بالطلاق فيتمكن من جبر الخرق الذي خرقه بالطلاق وذلك بمراجعتها والاحسان اليها واظهار التندم على ما صدر منه عن غير روية ولا شك ان قلب المرأة ضعيف يسهل استهواؤه والتسلط عليه باظهار علامات التحبب والخضوع وان كانت النفرة من قبلها فقد شرع الخلع الذي هو عبارة عن طلاق من الزوج بعوض من المرأة وانما شرع لدفع مكروه المرأة ولذا شرع دفع المال له من قبلها لان نفع الطلاق في هذه الحالة عائد اليها وبالجملة فان تمكن الزوجان من القيام بواجبات الزوجية اثمر الزواج ثمرته المرضية وآتى اكله طيبا شهيا والا فالفرقة الشرعية حفظا لحقوق كل منهما ومصالحه على اوفق الوجوه المرعية.

محمد الهادي ابن القاضي

---

* لم يطبع هذا الكتاب

الاتراك هذه البدعة يدلك عليه لفظ نيشان الذي هو كلمة فارسية معناها علامة ومهما كان الحال فقد افاد التاريخ ان السلطان سليم خان الثالث دبر في ايجاد وسام عثماني اثناء حكمه ولكنه لم يجسر على الاستظهار بمشروعه مراعاة للفكر العام ببلاده التي كانت تنفر في زمنه التشبه بالاخلاق الاوروباوية فلما دالت دولة ءال عثمان لحكم السلطان محمود خان الثاني اعتبر في جملة التنظيمات التي ادخلها لممالكه خلال سنة ١٢٤٧ احداث وسام اسماه نيشان الافتخار وتقلده وقلده لرجال دولته ولبعض اهل العلم منهم الشيخ الالوسي صاحب كتاب روح المعاني فى تفسير القرآن الكريم وعن هذا النيشان العثماني اقتبس المرحوم مصطفى باي نيشان الافتخار التونسي في سنة ١٢٥٢

نيشان الافتخار

لما احدث المولى مصطفى باي نيشان (١) الافتخار جعله في صنف وحيد قلده في البداية لترجمانه ومستشاره في الشئون الخارجية الكونت جوزافين رافو الطاياني (٢) مكتفيا بذلك حتى ينظر ماذا سيكون من التأثير لهذا الحادث بالبلاط الحسيني وبالمحافل التونسية ولكون الظروف ايضا لم تسمح له يومئذ بتقليد متوظف نصراني رتبة جهادية في النظام العسكري المحدث بتونس عن اذن الباب العالي في اواخر دولة اخيه المرحوم حسين باي والى هذا النظام الجديد يشير العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع في قصيدته التي مطلعها :

نظامك ايها الملك الهمام   به للدين قد ظهر ابتسام

ويستفاد مما كتبه المعلم الاميرألاي كاليقارس معين المشير احمد باي والمدير الاول لمدرسة الضباط باردو ان النيشان الذي احدثه مصطفى باي انما هو نتيجة اختراع دبره اخوه حسين باي وعاقه اجله عن اتمامه . وكان شكل هذا النيشان بيضيا تعلوه نجمة وهلال وبوسطه بالحجارة الكريمة اسم الباي « مصطفى » قال الشيخ الباجي المسعودي في الخلاصة النقية ان هذا الباي هو اول من لبس النيشان (العثماني) من بني الحسين بن علي وهو اول من صاغ نيشان الافتخار (التونسي) ونقش عليه اسمه بحجر الالماس والبسه وزير الامور الخارجية (الكونت جوزافين رافو) اه ويوجد لهذا اليوم بسراية باردو رسم بالدهن لذات هذا المأمور السامي يرى الناظر فيه على صدر صاحبه صورة ذلك النيشان مطرزا باسم « مصطفى » بأحرف جلية ولم ينقل لنا التاريخ اكثر مما تقدم في حق نيشان الافتخار

---

(١) لفظ نيشان يجمع على نياشين ونواشين وهذا الجمع الثاني يستفاد منه بحساب الجمل عدد ١١١٧ الذي هو موافق لتاريخ دخول مُلك تونس في قبضة المولى حسين بن علي مؤسس العائلة المالكة وهو اتفاق غريب

(٢) ارتقى لرتبة امير الامراء مع الوزارة الخارجية في دولة المشير احمد باي ومات بباريس في سنة ١٨٦٢ ونقل جثمانه لتونس وبها دفن .

على عهد مصطفى باي لان وفاته كانت في العام التالي للعام الذي احدث فيه نيشان الافتخار فلما ءالت نوبة الملك لابنه المشير احمد باي ابتدأ من حيث انتهى ابوه فاتخذ اولا نيشان والده ولبسه بدون تغيير سوى وضع اسمه « احمد » مكان اسم « مصطفى » ثم بداله التوسع في ذلك المشروع مع تغيير شكل النيشان المتحدث عنه بمعنى انه جعله مستديرا عوض شكله البيضي الاول ورتبه في اربعة اصناف اول يحمل على الصدر للجهة اليمنى وثان يلبس بالطوق (كمندور) وثالث ورابع يحملان على الصدر للجهة اليسرى وجعل كل تلك الاصناف مرصعة بالياقوت وتقلد هذا النيشان وقلده لوزرائه ورجال دولته ورؤساء عساكره منهم الضباط الفرنساويون الذين استحضرهم من فرنسا لتعليم الفنون العسكرية للجيوش التونسية وكان عدد هذه الجنود في مدته يتجاوز الثلاثين الف جندي

ومن الغريب ان الشيخ احمد بن ابي الضياف مورخ دولة المشير احمد باي وكاتب سره لم يتعرض في تاريخه لنيشان الافتخار الا بالنزر القليل وعبارة ما جاء في تاريخه هي قوله ان الباي المذكور هو الذي رتب اصناف نيشان الافتخار وقبلها منه ملوك واعيان من الوزراء والكبراء وذوي الشان من غير المملكة وبالغ في اعطائها للناس حتى قال له ديقرانج مترجم سلطان الفرنسيين يا سيدي ان النيشان هو عمل السلطان وليس السلطان هو النيشان وارتمض لسماعها اه بلفظه.

قلت ان الشيخ ابن ابي ضياف يشير بكلامه هذا لما صرح به غيره من المؤرخين من ان المشير احمد باي افرط في البذخ والاسراف لمجاراة اهل الثروة من الملوك اصحاب المدنية الراسخة ناهيك انه لما زار فرانسا في اواخر سنة ١٢٦٢ قلد لرجال الدولة بها نحو الثلاثين نيشانا من اصناف مختلفة تتراوح اثمانها بين العشرة ءالاف والثلاثين الف فرنك بما تكون جملته لا تقل عن ستمائة الف هكذا نقل بعض رواة ذلك العصر والعهدة عليه وقد اتفق اثناء وجوده هنالك حصول طوفان بجهات نهر لوار أهلك الحرث والنسل فتبرع على المصابين بخمسين الف فرنك حتى اعتقد بعض ارباب الجرائد انه كان متربعا على خزائن قارون والحال ان دولته في ءاخر مدته اشرفت على الافلاس وجملة ميزانيتها السنوية كانت مقدرة اذ ذاك باقل من عشرة ملايين ولما عاد من تلك الرحلة اضاف لاصناف نيشان الافتخار الصنف الاكبر المصحوب بوشاح الشريط الاخضر اقتبس ذلك من نظام وسام اللجيون دونور (وسام الشرف الفرنساوي).

ولما التحق المشير احمد باي بالدار الآخرة في سنة ١٢٧١ لم يسلك وريثه في الملك المشير محمد باي مسلكه فقد سعى لمجرد جلوسه على العرش الحسيني لتدارك بعض التفريط الواقع في عهد سلفه من ذلك تسريح نحو الثلثين من العساكر وابطال النياشين المرصعة بالياقوت وانتزاع جميع ما كان منها موجودا بيد اصحابه وبيعه لفائدة صندوق الدولة عدا الصنف الاكبر الخاص بذات الملك وهو النيشان الذي كان يلبسه المشير احمد باي الاول وهو الان في نوبة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني ادام

الله ملكه واجرى في بحر السعادة فكله وفي الوقت الذي انتزع فيه المشير محمد باي النياشين المرصعة من حامليها عوضها لهم بنياشين افتخارية من الفضة بالشكل الموجود لهذا الزمان .

ولما دالت الدولة للمشير الثالث محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ اكتفى بما وقع في عهد اخيه المشير الثاني محمد باي ولم يدخل تغييرا جديدا على نيشان الافتخار سوى وضع ترتيب له في قانون مسطور لان المشير احمد باي رتب شعار النيشان وغفل عن تقنين احواله.وكانت النياشين قبل عصر الحماية تصنع بدار السكة بباردو حسبما تقتضيه الحاجة المتوقعة ورايت في بعض التقاييد انهم صنعوا في سنة ١٢٩٠ خمسمائة نيشان من الصنف الثاني ومثلها من الصنف الثالث ومثلها من الصنف الرابع بلغت قيمة مجموعها فضة وصناعة الى ثلاثة واربعين الف ريال .

وكانت مراسيم النياشين تكتب بخط اليد لا بورقة خاصة للمثال المنعوت.كما هو الآن بل لم يكن لديهم ضوابط لحفظ النيشان من الاتجار فيه خلسة بالبيع والشراء كما وقع في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فلما استهل افق الملك بطلوع شمس الدولة العلوية كان في مقدمة الاصلاحات التي انجزها الدور الجديد تنظيم احوال نيشان الافتخار ووضع تعريفة في ضبط المعاليم الموظفة عليه ومما تضمنه الامر العلي الصادر في ذلك قوله : وفقا للحالة الجديدة التي تسرتبت عليها دولتنا . اه بلفظه مما يدل على الاختلال التي كانت عليه حالة نيشان الافتخار في الدور القديم وبالتالي الحقت زيادات كثيرة في انظمة هذا الوسام اهمها تخصيص الاموال الواردة لصندوق الدولة من المعاليم الموظفة عليه لاسعاف المشاريع الخيرية وهذه المبرة من حسنات دولة الحماية التي تولت بنفسها وعلى عهدتها مباشرة احوال نيشان الافتخار

وكانوا في القديم لا يمنحون نيشان الافتخار الا للرجال وفي هذا الزمان صاروا يمنحونه لشقائقهم النساء على حد سواء وممن اتحفن به من السيدات المصونات مدام الابتيت زوجة الوزير المقيم الاسبق ومدام بلان زوجة الكاتب العام الاسبق ومدام ايجنشنك مديرة مدرسة البنات المسلمات ولهذه الآنسة فضل على ابناء هذه البلاد لما قامت به من تربية وتهذيب وتعليم بين عموم الاوساط التونسية ـ اما الرجال الممتازون بنيشان الافتخار فهم في هذا الزمان الاغلبية الساحقة بين الوجهاء والاعيان بتونس واعمالها وقل ان تجد ضابطا او متوظفا تونسيا او فرنساويا غير ممتاز بهذا النيشان وكل من تدعوه المناسبة لحضور موكب العيد بسراية باردو لا يسعه الا التعجب من كثرة اوشحة الصنف الاكبر المحلاة بها صدور اهل الدائرة والوافدين على سمو الباي من المديرين والاعيان ولم يكن يوجد من ذلك مقدار ربعه او ثلثه في عهد الدور القديم ومن اوفق المناسبات لمنح هذا الوسام الرحلات الملكية لفرنسا فان المقدس المولى محمد الناصر باي تكرم بنحو الاربعمائة نيشان من اصناف مختلفة بمناسبة زيارته لباريس في سنة ١٣٣٠



في موكب تدشين جامع المرسى

خط المعالم والانام تمجد — والله يكتبها لكم ويخلد
وارفع على قمم العلاء دعائما — من دونهن يلوح ذاك الفرقد
لله يا خير الملوك فضائلا — ذا الموئل الاحمى وهذا المسجد
بيت به المرسى تكامل حسنها — فغدت لها آي الثناء تردد
بيت على التقوى اقمت بناءه — ولغير ذلك لا يكون المقصد
بيت تشع من الجلال قبابه — فيؤمه متيقن وموحد

هذا وقد جرت العادة بتونس من قديم ان الفقهاء لا يلبسون النياشين ولم نسمع ان واحدا منهم طلب نيشانا من الدولة والدولة بدورها لم تعرض عليهم اوسمتها ونياشينها والسبب في ذلك والله اعلم ان ظهور نيشان الافتخار بتونس وافق وجود طبقة صالحة من العلماء الاعلام بلغوا المنتهى في الورع والتقوى فلم يكن ليخطر ببال احد من رجال الدولة في ذلك الزمان عرض افتخار او امتياز على احد منهم وعلى تلك القاعدة درج اعقابهم من شيوخ الفتوى والقضاء الى هذا الزمان اقتداء بذلك السلف الصالح

بابه اقتدى عدي في الكرم — ومن يشابه ابه فما ظلم

وهذه النظرية تجرنا للكلام على كون الاوسمة في بداية ظهورها بالممالك الاسلامية كان بعض اهل الورع يراها من البدع التي ربما ينكرها الشرع ناهيك ان المشير احمد باي لما اهداه الملك فيكتور عمانويل الثاني نيشان تاج ايطاليا الملوكي الشبيه في شكله بالصليب لم يقدم على لبسه قبل معرفة النظر الشرعي(١) فيه ولما افتاه اهل العلم بالجواز لبسه في جملة نعوته وشاراته الملكية

(له بقية)

(١) افتاه بذلك الشيخ الجد من الفقهاء الحنفية والشيخ احمد بن حسين القمار من الفقهاء المالكية وللوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور تعليق نفيس على كلام الشيخين يدل على تضلعه في العلم كتضلعه في الكتابة والسياسة

تعنو التقاة له فمنهم ركع بيض سرائرهم ومنهم سجد
يستوهبون مراحما لا تنقضي نفحاتها ومواهبا لا تنفد
يسترحمون الله بالآي التي نزل الامين بها وجاء محمد
بيت حباه الدر من لالائه ثوبا لجينيا وشاه العسجد
بيت لو اكتحل البصير بنوره لاتمت الزرقا به تسترشد
خلع الجمال عليه من ءاياته حللا تتوق لحسنهن الخرد
من مرمر فاق الحرير ملاسة ذا ابيض يقق وذلك اسود
ودعائم تسبي العقول بحسنها تخشى انزلاقا من صقالتها اليد
لو شاهدت الفاتها مسطورة عين ابن مقلة لازدراه المشهد
رفعت سماء البيت فوق كواكب حلت بافلاك البها تتوقد
يزري على وضح الشموس سناؤها وبنورها جيش الدجى يتبدد
واذا نظرت الى الثريات العلى اعشى عيونك حسنهن المفرد
متشاكلات الحسن بلورية بسموطها الدر اليتيم منضد
تجري بهن الكهرباء فتمتلي ساحاته بسواطع لا ترصد
نفثت يد الصناع في محرابه سحر الصناعة باديا لا يجحد
من احمر في ابيض في اخضر من وشيها زهر الربى يتورد
فرشت به البسط الثمينة فاغتدى روضا ببهجته الخمائل تشهد
نسجت محاريبا كأن قد شاقها الـ محراب وهو مخرم ومشيد
واذا رددت الطرف نحو رحابه ايقنت ان النور فيه ممدد
بمرخم الارجا كأن اديمه ذوب اللجين معبد وممهد

❀ ❀ ❀ ❀

قم يا بلال البيت واصدع قائلا لله فليأت التقاة الهجد
هذا حمى الرحمات والكنف الذي قد شاده الملك المؤيد احمد
هذا التقي ابن التقي اخو الهدى هذا الكريم ابن الكريم السيد
ملك به لهج الزمان وكم شدا كرم الخلال بعزه والسؤدد
ملك يقضي في المحامد عيشه ءانا يجود وتارة يتعبد
ملك يريد لشعبه ما يرتجي لبنيه من نعمى لهم تتجدد
ملك تذل له الصعاب خواضعا بجلال سدته الكوارث ترعد

ملك لبهجة عرشه تحنو المنى وبتاجه لعرى السعادة معقد

❀ ❀ ❀ ❀

مولاي ملكك بالمعارف والنهى سام وانت لها الرعي المرفد
مولاي كعبة ملككم مفئودة فتكت بها الادوا وانت المنجد
فانك مؤمل اهلها فلقد قضوا زمنا تكاد نفوسهم تتصعد
واكلأ اساتذة لعرشك اخلصوا لهج الزمان بهم وتاه المعهد
فالملك يعظم بالمعارف شأنه والعلم ناموس البقاء الاوحد
لا زلت في حلل السيادة رافلا تملي المفاخر والدهور تردد
في هالة عقد الحسين نطاقها كرمت ارومتها وطاب المحتد
تحنو لطيبها الرضى وكمالها همم العزائم ان بدت تتوقد
ولديك من وزراء ملكك عمدة بحلا رضاك مطوق ومؤيد
واليكها عذراء اندلسية قد زفها لحماك هذا المنشد
فاذا تفضلتم بحسن قبولها حقت امانيها وتم المقصد

الطاهر القصار

سائقة حسناء

كنت في نزهة مع بعض الرفاق فمرت بنا سيارة كهربائية وكان مقودها بيد عذراء ناهد تأخذ بالالباب . مرت السيارة كانها السهم يخترق الفضاء فاضطرب الرفاق لذلك وغشى عيونهم ما غشاها من نقع دواليبها . فقلت في ذلك مرتجلا

مسكت مقود (الاتو) بايد عاجيات قد سورت بزبرجد
بعد ما اسدلت نقابا خفيفا ليس يخفي سهم العيون المسدد
وجرت تنهب الطريق بسير ظل شمل الجموع منه مبدد
فنصيب الرفاق كان غبارا ونصيبي حصباء در منضد
بين مرجانتي شفاه رقاق باسمات الي عن حسن موعد

القصار

زيتونة تونس

شجـــرة مباركـــة يكـــاد زيتهايضيء

وثباتها

في خطراتها

المهتدين رعاتها

القوى في ضعفها وثباتها

اضوتها صروف حياتها

فتونس ❀ العلاو العز بعض هباتها

سيرة ❀ تنيل ❀ كوارث ما اسطعتم قراع ظباتها

ما تبكيم ❀ جنته رياض الفضل من ثمراتها

فمن لاذ بالحجا ❀ وانتم من العليا على هضباتها

الرأي الحكيم فتصبحوا ❀ ايا قادة الخضرا وخير أساتها

لسعي بجهد الناس غبه

هذه الشجرة مؤلفة من قصيدة بها واحد وعشرون بيتا وطالع القصيدة اصل الشجرة ثم تقرأ البيت الثاني من أول كلمة من الاصل وتضيف لها الدوحة اليمنى ثم اليسرى وتقرأ البيت الثالث من الكلمة الاولى مضافا لها الكلمة التي بعدها وتجمعهما بالغصن اليميني فالشمالي وهكذا الى ءاخر القصيدة.

(مدير المجلة)

خواطر

صوت من اعماق الماضي

في عشية وادعـة النسيم قـرب مغيب الشمس وقـف على راس تلك الربـوة العاليـة مستسلما لخواطر كثيرة تعبث بأحشائه . تتجاذبه الارياح من كل صوب ومد بصره المثقل بالدموع في الفضاء الواسع الى حد الافق الازرق المتصل بالغيم الرقيق . واصغى بسمعه لاصوات الطبيعة الباكية المنبعثة من رؤوس الجبال البعيدة . ثم اخذ يرجع البصر الى السماء العالية فيرى السحب متلبدة تسير ببطء متجهة نحو الغرب وقد آذنت الشمس بالمغيب فانتشرت صفرة حزينـة على الكون الصامت فأكسبته روعة وجمالا وقف هاتـه الوقفـة يرى الطيور آيبـة الى عشاشها بخفة ونشاط وقد ملكها الطرب تتناجى وسط سمائها بألحان عذبة تملا القلب طربا .

ويرى الناس سائرة مع الطريق الموصلة لداخل البلاد على اختلاف اشكالهم . هذا ينهب الارض بسيارته الفخمة يرى غايتـه قيـد بصره ، وآخر يمشي على رجليه يرى غايتـه لم تزل بعيدة فيتصبب جبينه عرقا ويضاعف السير ، وثالث يمشي على مهل وبيده ابنه الصغير يسير على سيره ويتحدث إليه بحديثه . ومن ساعة الى اخرى يهوي عليه فيطبع على ثغره قبلة حارة صادرة من اعماق قلب الابوة . ورابع يمشي مع اصدقائه يرى الحياة قد اجتمعت في تلك الحصة القصيرة .

راى ذلك كله . ووقف مبهـوتا معلقا انفاسه . وقد فاضت عواطفه وتأججت نيران الاسى في دواخل ضميره لم يدر كيف شبت بين جوانحه ولم يعرف مصدر هاته الكآبـة الـتي انصبت على كاهله في هاته البقعة ولماذا لا ينصرف عن هاته الربوة التي طال وقوفه عليها . ويذهب الى سواها من سائر البقاع ؟

نعم كان في عزمه هذا ولكن شيء قوي لا يدري ما هو . ألصق رجليه بالارض .

فكر قليلا ثم جلس واستقبل الرياح بوجهه واستغرق في تفكير عميق له ، لو رآه راء لظن انه يبحث عن شيء قد أضاعه . وهنا يقف مذعورا واذا بصـوت رقيق من اعماق الماضي يشق لفائف قلبه « هذه ايها المسكين تلك الربوة التي كنت وقفت عليها - يوم ان كنت سعيدا - مع صديقيك » .

ثم تتضارب عواصف الذكريات في راسه فيتفكر يوم كان مع صديقين واقفين على راس هاتـه الربوة . ويتفكر حين كانوا يمشون على حافة هاته الطريق وحين كانوا يفكرون في امال ضخام تتراءى لهـم على ضوء المستقبل ولكن المستقبل انطمس نوره وصار ظلاما حالكا لا يظهر منه شيء وحين كانوا يجتمعون في اول عهدهم بالصداقة فتقع بينهم مناقشات خفيفة تنشأ عن فهم مسالة علمية او ذوق نكتة ادبية او مقارنة بين شاعر وشاعر او ناثر وآخر .

تفكر هذا كله ، وتفكر شيئا آخر ، تفكر خيالات لطيفة تمر على ذاكرته ثم لا تلبث ان تتلاشى حتى لا يبقى منها شيء. . مسكين لقد لعبت به الحياة الاعيبها القاتلة ، ودار الزمن دورته ، واجرى قوانينه الصارمة ففرق بينهم وهذه الايام تمر سراعا تلتهم المستقبل التهاما والشهور تتبعها الاعوام وهذا المسكين قد هد كيانه الدهر واختطف الشقاء عزمه. مستميتا على احتمال نبال المصائب .

حقا كان يبسم للحياة بثغر ملؤه الفرح والسرور اما الان فهو ينظر اليها بوجه عبوس قمطرير يتطاير منه الغضب والمقت والياس . .

فكر في هذا كله وفهم صوت الماضي وصبر لنبال المصائب ولكن ماذا عساه ان يفعل ؟ وماذا يفعل البائس المغلوب على امره ؟ لكن لا اقل من ان يثبت هاته اللحظة التعيسة في تاريخ حياته المظلم الحافل بالمتاعب والمشاق اراد ان يفعل ويا للاسف لا قدرة له على اثباتها اذ هو عاجز عن ذلك ولكن على كل حال يثبتها على اي صفة كانت .

جلس ثانيا ، وتناول القلم باناهل مرتعشة ، وفؤاده يضطرب واخذ دفتر مذكراته ، وكتب لكنه لم يكتب سطرا حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، وغلبه ثوران بركان نفسه فامسك القلم قليلا حتى سكنت ثورة نفسه وهدأ بركانها بعض الهدوء ثم اعاد اليراعة الى القرطاس وكتب . .

« اخوي العزيزين على هاته الربوة الصامتة كنت واقفا معكما وهذه الطبيعة الساحرة كنت اناجيها معكما وهذه الصفرة السابغة لرؤوس الجبال كنت اقرا فيها سطور الراحة والهناء معكما . وها انا الان اقف وحدي كالطير الذي عاقته المقادير في جناحيه اللذين ينهض بهما ، أقلب طرفي في الفضاء الواسع فلا ارى إلا سماء متصلة بالارض وحيدا يمضني لذع العواطف المرة ، ورمض الجوانح المحطمة . انشد الراحة فلا أظفر بها والسعادة فلا اعثر عليها . فإليكما اكتب هاته القطعة النارية المتجمعة من شرارات الشوق واليكما اهدي هذه الجمل المشوشة النائحة فان بين تشويشها ونوحها روحا معذبة ضائعة بين مجاهل الوحشة . فأنتما اول من فتح قلبي لنور الصداقة وانار امامي سبيلا غامضا الى الود الخالص وبكما انتقلت من غم الحياة الى فرحها وسرورها وبكما اعود الى غمها وظلمتها كما كنت . . .

كنت أرى الاصدقاء تمشي فلا اعبأ بهم ، وأرى الرسالة معنونة بعنوان . . صديقي العزيز او زميل الروح فأسخر واتلو قول القائل :

ثلاثة ليس لها وجود   الغول والعنقاء والودود

اما الآن ارى الاصدقاء مجتمعة فتثور نفسي ويملكني الحزن على حضي الضائع ، وارى الرسالة بعنوانها فأقول لعلهم ممن شملتهم الصداقة بعطفها الواسع » كتب هذه الجمل في اول الرسالة ولا دري ماذا كتب بعد . هكذا حكى عنه بعض اصدقائه .

العالم الاسلامي

المسلمون في رومينيا وبلغاريا

ذكرت الاحصائية الرسمية المحررة سنة ١٩٢٧ ان عدد المسلمين بمملكة رومينيا يبلغ (٢٢٠،١٢٠) ساكنا اي ٣، ١ في المائة من كامل سكان تلك المملكة . منهم ١٥ في المائة من التتار والبقية من الاتراك . ومعظم المسلمين مستقرون بجهة دبروجة وبولايات تلطشيه وكسطنزه وسيلستريه وبازرجيك ؛ غير ان نسبة توزعهم ما بين البادية والحاضرة مختلفة جد الاختلاف بمدينة كسطنزة التي بها من السكان ٥٨،٢٥٨ نسمة ليس بها من المسلمين الا ٦٤١٢ ساكنا ؛ ومدينة بازرجيك الواقعة بجنوب ناحية دبروجة والتي تبلغ جملة سكانها الحضريين ٢٩،٩٣٨ تعد من المسلمين ٢٠،٧٢٥ ؛ وبلدة سيلستريه التي هي حضرة صغيرة ذات ١٧،٤١١ نسمة واقعة على نهر الطنة (الدانوب) تعد ٧٩٧٠ مسلما لكن البادية المجاورة لها والمحيطة بها لا يقل سكانها المسلمون عن ٨٠،١١٨ شخصا بينما ولاية تلطشية الواقعة بشمال دبروجة لا تحتوي جملتها على اكثر من ٥،٧٨٥ من المسلمين ويوجد ايضا بعض افراد قليلين جدا بشمال نهر الطنة بولاية بيسارابيه ولكن عددهم طفيف . كما يجب ان نظيف الى جملة هذه الاعداد نحو الثمانين الفا من النور (التزيقان) المسلمين بين مقيمين ومرتحلين ينبون عن كل مراقبة واحصاء

هذه حيرة عميقة . وحسرة اسيفة اثارتها وقفة ساعة في تلك العشية الماضية على راس هذه الربوة الباقية . ولهذه العشية العجيبة شأن غريب وسبب مهم ، اذ تقدمتها اجتماعات كثيرة لكن حينما تذكر لم تؤثر فيه تلك الاجتماعات مثل ما اثرت فيه هاته العشية . وحقا كان وتر الصداقة ساكنا هامتا حتى جاءت هاته العشية فضربت على هذا الوتر الباهت ببنانها الروحي فتكلم بنغمة حلوة مبهمة فيها شتى المعاني لا تزال تتردد في خاطره حتى ساعة وقفته . ولا غرابة إن اثرت فيه هاته الفرقة وتركته نحيف الجسم منهوك القوى ينظر الى الوجود بنظرة غير النظرة الاولى اذ هي صداقة قوية بنيت على صروح من الاخلاص والود واسس من المعرفة التامة تعارفوا ليكونوا رجالا كسائر الرجال تعارفوا ليكونوا عمادا للمستقبل كسائر الشباب اذ بفقدهما فقد الحياة وصار حليف حزن ممض واسى دائم . هذا ما علمته من حال هذا الصديق الذي رماه الزمن بفرقة صديقيه اما الآخران فلا ادري ماذا كان منهما وارجو ان يجمعهم الله في اسعد الاوقات . . ؟

تونس احمد اليحياوي

ان الاتراك والتتار الرومينيين يستعملون عادة في احاديثهم اللغتين التركية والرومينية ، ومعظمهم يتعاطون الفلاحة . غير انه – منذ الحرب العالمية – قد تكونت نخبة مفكرة محدودة تتطلب المهن الحرة والوظائف الادارية ففي مدينة كستنزة – مثلا – يوجد ثلاثة من المحامين بعد وطبيبان وبعض الموظفين المسلمين ، ويعد الجيش الروميني بضعة عشر ضابطا مسلما منهم صاغقلاسيان (كولونيل) .

وقد ساعدت الحركة التركية الحديثة على هجرة الرومينيين المسلمين الى بلاد الغازي مصطفى كمال ، لكن هذه الحركة التي ظهرت بناحية لابروجة لا تزيد عن الخمسين عائلة سنويا . غير ان هذه الحركة تضاءلت بصورة عجيبة في هذه السنوات الاخيرة .

يوجد بجهة دبروجة نحو ٤٠٠ جامعا كلها من النمط المعماري التركي المشتمل على القباب الخضر والمآذن المنمقة . وفي مدينة كسطنزة نفسها توجد خمسة وفي بازرجيك عشرة وتقام فيها الصلاة باللسان العربي غير انه لا يفهم الا من القضاة والمفتين . والاغلبية الساحقة من الذين آمنوا يصومون شهر رمضان ، لكنهم وان كانوا لا يأكلون لحم الخنزير فهم يتناولون الكحول ولا يصلون الخمس بانتظام تام . والقليل منهم من يحجون الى بيت الله الحرام ففي سنتنا هذه لم يحج الا روميني واحد بينما قد حج عشرة منذ عامين . اي قبل الازمة الاقتصادية

يدرس التعليم الاسلامي العالي بمعهد المجيدية الذي هو مدرسة لتخريج الموظفين العاليين المسلمين . توجد هذه المؤسسة بجهة دبروجة وتعد ٩٥ طالبا موزعين على ثمانية اقسام . وتدرس بها – الى جانب العلوم الاسلامية البحتة – العلوم الدخيلة باللغة الرومينية . اما الفنون الدينية فيقوم بتعليمها سبعة اساتذة مسلمون وهي الفقه والنحو والتوحيد الى غير ذلك ، بينما ثمانية اساتذة رومينيون يدرسون العلوم الدخيلة . وما زالوا يعلمون اللغة التركية بالحروف العربية وربما اصدرت الحكومة الرومينية قرارا في تعويضها بالحروف اللاطينية

يسمي القضاة وزير العدلية ويراقبهم مفتشون قضائيون ، ويسمي المفتين وزير المعتقدات وكلهم متخرجون من معهد المجيدية او هم حملة شهادات من المعاهد الاسلامية بالاستانة او شومن (بلغاريا) أو الازهر بالقاهرة . فمن ذلك ان المفتين الاربعة المتولين على الولايات الاسلامية الاربع اي ولايات لمطشية وسيلسترية وكسطنزة وبازرجيك قد تخرج اثنان منهم من معهد المجيدية واثنان من مدارس استامبول .

يقوم القضاة بوظيفة ضباط الحالة المدنية بالنسبة الى لمسلمين لكنهم يحررون رسوم الولادات والوفيات والزواج بدار شيخ المدينة . وتشمل منطقة نفوذهم جميع مسائل الحالة المدنية الاسلامية التي لم يعدل عنها المسلمون الرومينيون ولا رضوا بها بديلا . يوجد تعدد الزوجات عند بعض الاتراك غير ان الحكومة اصدرت قانونا سنة ١٩٣٠ يقتضي ان كل روميني لا يستطيع ان يتزوج اكثر من امراة

واحدة ولا يقدر ان يتزوج بغيرها ما دامت في عصمته. على ان هذا القانون غير خاص بالمسلمين ولا يقصدهم بالذات لكنه حرم تعدد الزوجات بصورة عملية قانونية. ولما كانت الاغلبية الساحقة من المسلمين موحدة الزوجات فهذا الاصلاح لم يضايقها اية مضايقة

تستأنف احكام القاضي في مسائل الاحوال الشخصية لدى المحاكم الرومينية. واذا اتفق الطرفان المتخاصمان فهما يستطيعان ان يترافعا لدى المحاكم الرومينية مثلما يجري العمل به في بولونيا. والمسلمون الرومينيون حنفيون مثل المسلمين البولونيين

المسلمون ببلغاريا

ان حالة المسلمين ببلغاريا مخالفة لاحوالهم ببولونيا ورومينيا. وذلك انه منذ القرن الرابع عشر - وان شئت بالضبط - فمن سنة ١٣٩٦ دخل البلغار في حكم الاتراك ولم يسترجعوا استقلالهم الا منذ خمسين سنة تقريبا اي منذ معاهدة سان سطيفانو المنعقدة سنة ١٨٧٨ والمقررة لاول مرة حدود بلغاريا الجنسية والترابية. فالاتراك قد تركوا في البلاد عند ما هاجروها جالية اسلامية قوية العدد بالرغم عن الحرب والمهاجرة. فاعلم ان بلغاريا تعد ٦٥٠٠٠٠ من المسلمين الاتراك منهم افراد قليلون من التتار. فاذا زدت الى ذلك ٧٠٠٠٠ بوماك مسلم من الجنس البلغاري وممن يتكلمون اللغة البلغارية ونحو ١٢٠٠٠٠ من النور المسلمين (وهؤلاء يتكلمون النورية والتركية) فيكون متحصل الجميع ٨٤٠٠٠٠ مسلما في جملة سكان تبلغ ٤٤٥٠٠٠٠ اي سدس سكان المملكة تقريبا

قد تفرقت الجاليات الاسلامية بكامل البلاد لكن اهم جالية هي المستقرة بمدينة شومن. وهذه المدينة عبارة عن مركز اسلامي كبير ومقر مدرسة اسلامية عليا قد طبق ذكرها الخافقين

وقد ظهرت في السنوات الاخيرة حركة مهاجرة الى تركيا مثل الحركة التي ظهرت برومينيا ولكنها سرعان ما وقفت وانتهت. وذلك لان الحكومة البلغارية قد توخت نحو المسلمين - مثل حكومة رومينيا - سياسة حرة بتمام معنى الكلمة. من ذلك ان احد نواب مجلس الامة البلغاري (وهذا المجلس يسمى سوبرانيه) قد وضع على منصة المجلس مشروع قانون يرمي الى حرمان المسلمين من التمتع بالحالة المدنية الاسلامية وجعلهم من اتباع المحاكم الاعتيادية فلما طرح هذا المشروع على بساط المناقشة صرحت الحكومة بغاية الصراحة انها عازمة على ان تبقي للمسلمين حريتهم في التمتع بحالتهم الشخصية كيف شاؤا واختاروا وانها لا تريد ان تجري في هذا الامر مجرى الاتراك. فاسترجع النائب مشروعه وطوي الامر بسلام.

لا تقل الجاليات الاسلامية ببلغاريا عن ٨٥٠ جالية لها ١٥٠٠ جامع. وبالرغم عن وجود بعض التراخي في القيام بالفرائض الدينية المتعلقة بالجوارح — لا سيما عند الاحداث — فان الاسلام

ما يزال في تزايد ببلغاريا. من ذلك ان ٦٠ بلغاريا قاموا بفريضة الحج في سنة (١٩٣١) واذا تناقص هذا العدد الى ١٥ في سنة الحال فان موجبه الازمة الاقتصادية التي اشتدت في بلغاريا اكثر من كل بلاد بلقانية سواها.

توجد في البلاد عدة مؤسسات خيرية تقوم بها الاوقاف. اما التعليم فيزاوله صغار المسلمين في ١١٢٠ مدرسة اسلامية و٣٠ معهد ثانوي و١٥ معهدا عاليا شرعيا. وتوجد ايضا مدرستان عاليتان لترشيح المعلمين والموظفين الدينيين الاولى بشومن والثانية بكيرجالي. لكل هذه المدارس اوقاف تنفق منها ولكن عددا كبيرا منها يتقاضى منحة من الدولة التي تقوم بجميع نفقات مدرستي شومن وكيرجالي.

يتمتع المسلمون البلغار بجميع الحقوق المدنية والسياسية بدون ان يكونوا قد عدلوا عن احكام الشريعة في نوازل الاحوال الشخصية. وفعلا فان الفصل الاول من قانون المرافعات البلغاري ينص على ان المحاكم الشرعية الاسلامية تنظر في مسائل الزوجية والطلاق والتقاديم والوصايات والنفوذ الابوي والنفقة والحضانة والميراث. غير ان الطرفين اذا اتفقا فلهما الحق في التقاضي لدى المحاكم الاعتيادية وقد رأينا ان حق الخيار موجود ببولونيا ورومينيا مع الفرق الواحد الكبير الذي تتجلى فيه كمال حرية الحكومة البلغارية وهو ان الاحكام لا تستأنف لدى المحاكم الاعتيادية ولكن لدى المفتي الكبير بمدينة صوفيا التي هي العاصمة البلغارية وهو وحده الذي له حق النقض والابرام. وتتولى السلطة البلغارية تنفيذ هذه الاحكام

والمسلمون البلغاريون على المذهب الحنفي مثل البولونيين والرومينيين.

منقولة عن مجلة المباحث الاسلامية سنة ١٩٣٢
عثمان الكعاك

مجلة الجامعة

ظهرت في عالم المطبوعات التونسية منذ اول شهر جويلية الفائت مجلة علمية ادبية اجتماعية عنوانها (الجامعة للعلم والادب والاجتماع) يقوم على اصدارها نخبة من رجال العلم والادب بتونس من شيوخ التعليم بالمعهد الزيتوني ومن اساتذة مبرزين بالمدارس الثانوية ومن كتاب بارزين في عالم النشر والتحرير ويكفي ان نشير هنا لمديرها وهو الكاتب القدير السيد محمد ابن الحسين المتوظف بادارة المال ورئيس تحريرها وهو العالم النحرير الشيخ محمد صالح النيفر المدرس بالجامع الاعظم تقع المجلة في ٣٢ صفحة من الورق النصفي وعلى الغلاف الخارجي للمجلة صورة واجهة الجامع الاعظم وواجهة المدرسة الصادقية اشارة لاشتراك الثقافتين الشرقية والغربية في تحريرها وقد برز منها لحد اليوم اربعة اجزاء حافلة بالمواضيع المفيدة في الادب والاخلاق والنقد والاجتماع وقد سدت هذه التحفة الفنية فراغا في عالم الصحافة التونسية فكانت خير تعريف لما بلغته تونس من رقي ظاهر في عالم التحرير والنشر فنرجو للقائمين بهذا العمل العلمي الجليل التوفيق وتسديد الخطى وللمجلة ماهي اهل له من سعة الانتشار

تنظيم الاوقاف والشئون الاسلامية*

(١) التمثيل الطائفي – (٢) المحاكم الشرعية
(٣) الاوقاف الخيرية والذرية – (٤) التعليم
الديني – (٥) الارشاد والشعائر

الاسباب الموجبة لتنظيم الاوقاف و لشئون الاسلامية

ان تنظيم الطوائف والجماعات امر لا بد منه في امة كأمتنا كثرت فيها الطوائف الدينية والعرقية وفي زمن كزمننا ، نظمت فيه الجماعات تنظيما اوجد لها الشركات والجمعيات والنقابات . واذا نظرنا الى ضرورة ايجاد الصالح العام والتعاون المشترك يعمل لهما الافراد وتشتغل بهما الجماعات لخير المجموع ادركنا ضرورة التطور والاخذ بقاعدة التنظيم حتى لا يحرم الفرد ضمانة لحياته وحقوقه في معترك التنازع وليكون نجاحه آتيا من تضامن اخوانه ومشاركتهم اياه في جهاده . فاذا وقع القضاء وكان اضطراريا توزع مصابه وشقاؤه بينه وبينهم . واذا حدث الخير وكان عاما توزعت نعمته بينه وبينهم ، وفي كلا الحالين رحمة لما يصاب به الفرد من بؤس وعجز ، وعدل في تقسيم ما يكسبه من فائدة ومال والفرد مهما كان قويا في حد ذاته وقديرا على اتيان ما يفوق مقدرة المجموع لوجود النبوغ عادة بين الافراد وفقدانه بين الجماعات فان دوام عمل الفرد ودوام فعاليته ونفعه يفقدان بفقده . بخلاف عمل المجموع وفعاليته اللذين وان كانا دون الاول نجاحا وقوة لكنهما على كل اقوى في النتاج وادوم في النفع واضمن للبقاء لتعذر فقد الجماعة وموت الامة . وقياسا على ما تقدم واتباعا لسنن النشوء والارتقاء نجد ان الطائفة الاسلامية ليس لها في الوقت الحاضر كيان منظم وقد كانت مصالحها مرتبطة بالحكومة وقوتها مستمدة من الخليفة وكان تطورها متاثرا بفعل الزمن غير قائم على معالجة حكيمة ومعقولة ولاهمال التجديد في شئونها الدينية وعدم الاهتمام بالنواحي الحيوية التي ترتقي بها الطائفة سادت الفوضى وكثرت المفاسد والعيوب . فالصالح العالم الذي يضمن للمسلمين رقيهم ويفي بحاجاتهم كطائفة لها مطاليبها ولها حقوقها ولها فقراؤها ومعوزوها لم يكن موجودا وان وجدت الحاجة للتعليم الديني وتعميم المعارف ومداواة الفقراء واغاثة المحتاجين ومعالجة المرضى وإيواء الارامل واليتامى ومساعدة البائسين وتربية

* اتصلنا بهذا التقرير الذي سيقدمه سعادة وزير معارف الحكومة السورية الى اعضاء البرلمان السوري لتقع المناقشة في شانه من صديقنا الاستاذ محمد كامل التونسي نزيل دمشق ونظرا لما اشتمل عليه من آراء جديدة في بعض الشؤون الاسلامية الخاصة رأينا المبادرة بنشره ليطلع قراؤنا الافاضل على ما يستجد من الآراء حول بعض المشاكل الاسلامية الحاضرة وسنتبعه ببيان راينا فيه وستكون مجلتنا اول مجلة تنشره في العالم الاسلامي

الطفل وتشغيل اليد العاملة ومساعدة الاعمى والمقعد فليس لها مسئول يشرف عليها او يتداركها وليس لها صندوق يصرف عليها وعلى المؤسسات اللازمة لها . وان وجدت قضايا تحتاج للمعالجة والمداواة والحل كقضايا تعليم المراة وتعليم الاطفال والطلاق والزواج والمهر والتبرج والبناء والخمور والقمار الخ . . . فليس لها من يدرسها او يفتي بالعلاج المطلوب لها . او يعد لها العدة فلا يخرج الناس عن العادات والتقاليد الصالحة ولا يتبعون المدنية الزائفة ولاينغمسون في الشهوات والموبقات التي كلها استفحلت اضعفت المجتمع وافسدت اخلاقه وذهبت بمزاياه وقواه وعدا هذا فان الشعائر التي يجب ان تقام في بيوت الله قد تولاها ائمة لا يهمهم من الواجب غير نيل الراتب . وان المواعظ والخطب والتدريسات يأخذها احيانا من لا يحسن العلم ولا الكلام وان وجد الصالح في دينه وعلمه فهو ممن يجهلون مقتضيات العصر وحاجات الزمن فلا يجهد النفس للبحث والاطلاع ومعالجة المسائل والقضايا مما يفيد افراد الشعب وينهض بهم . وامر الارشاد يحتاج لعلم ودراسة ووقوف واختبار وسياحة وفهم ذهنية الناس وتطور الحوادث لا ان يبقي صاحبه جامدا بعيدا عن الحوادث والحاجات فاذا بحث تكلم عن القرون الماضية . واذا قال بوسيلة كانت من وسائل الازمنة البالية واذا خاطب اتجه لفئة دون فئة والناس اصناف وطبقات وفرق وجماعات لكل منهم لسانه وعقليته وحاجاته وامراضه وعاداته . هذا والجوامع امرها واهميتها وحالتها لا تخفى وكيف تخفى وقد غدت لا تتفق مع الغاية ولا مع مكانة الاسلام وعز المسلمين وتعاليم الشريعة السامية . فالكثير منها مهمل في ترميمه او اصلاحه وفرشه ومنها ما تشمئز النفوس من التعبد فيه لفقد النظافة وشروط الصحة . والنظافة اصل من اصول الدين وشرط من شروط الايمان والصحة مطلب من مطالب الحياة وفريضة من فرائض المدنية فتأخر الجوامع التي كان يجب ان تتعهدها يد الاحسان ويد العمران ويد العلم لم يحصل لولا سوء الادارة وفقدان التنظيم وعدم وجود المسؤول الحقيقي الذي يستطيع ايقاف المهملين عند حدهم ومعالجة الحاجة والضرورة عند وقوعهما . وليت الجوامع كان لها الرعاية الكافية والعناية التامة فلا تفقد الفوائد الدينية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المسلمون في صدر الاسلام . وليتها لم تخل من الاهداف النبيلة التي جعلتها لقضاء الحاجات وتغذية الروح وللقضاء بين الناس في مسائلهم واختلافاتهم وللمشورة وتدبير الامور وتداول الرأي . ولتعليم المسلمين وارشادهم الى مصالح الدين والدنيا ولعقد عقودهم وانكحتهم وتلاوة قرآنهم ولسماع المواعظ التي تفتح القلوب وتنير الافكار وتهذب النفوس وغيرها مما لم نعد نراه في زماننا بل اصبحنا نرى ونلمس تحولا من عبادة روحية تتجلى فيها طهارة الوجدان وقدسية الدين الى عبادة ميكانيكية تظهر فيها جمودية الفكر واستمرار العادات ولا شعورية القلوب .

وما جرى في المعابد وفي امور المسلمين التعبدية جرى مثله في اوقافهم وفي محاكمهم الشرعية واحكامهم ولماذا ؟ لا شك ان الاسباب كانت واحدة فلا عجب اذا كانت النتائج واحدة

ان الوقف كان عملا فرديا قام به صاحب الملك فحصر ريع ملكه من مرافق وعقارات لجهة بر لا تنقطع قاصدا ايصال النفع الى نفسه اما في حياتــه او في مماته وذلك ليدرأ مخاطر تسلط الامراء وارباب السلطة على ملكه او امواله كما كان يجري سابقا ثم ليستفيد من الريع مباشرة ثم لنـيل الثواب تكفيرا عن ذنوبه وآثامه او يزيد في مثوباته يوم الآخرة . واذا كان في عداد مـا اراده ايصال الخير والمعروف الى الغير عن طريق اطعام الفقراء وايواء الغرباء ومداواة المرضى والعجز وخدمة الدين بتشييد الجوامع واقامة الشعائر الدينية وتلاوة الاوراد والادعية فان في كلتا الحالين تأمين لمصلحته الذاتية وتغلب على الخير المطلق والصالح العام . ولتغلب المصلحة الذاتية قـام في ذهن بعض الواقفين ان يحصروا ريع اوقافهم في ذريتهم ويتخذوا الشريعة ذريعة لمشروعية عملهم بحصرهم جهة البر في امر يكاد يكون وقوعه من المستحيل كقولهم واذا خلت الارض من ذريتهم وذرية ذريتهم انـاثا وذكورا فيعود نفعها الى البيت الحرام مثلا او الى فقراء المحلة او الى كذا وكذا . وانقطاع الذريـة لا يحصل الا في الالف مرة واحدة كما هو مشهود ومعلوم ولذا بقي الوقف لورثتهم ولم يستفد الناس منه وكان السائق لهذا العمل خوفهم ان يصيب ابناءهم الفقر او العوز او الذل بعد مماتهم وهو عمل انـاني لا مبرر له . ان الخوف لا يمنع الفقر والحرص لا يجلب الغنى ومقدرات المرء منوطة باهليته واستعداده وتربيـته وزمانه فما عليه الا السعي والكسب والاعتماد على الذات لا على غلة موقوفة او رزق مقنن يسوقانه الى التوكل والرضى وفي تفضيل المصلحة الخاصة وجعل ادارة الوقف منوطة بفرد وفي تحديـد الشروط التي مع مرور الزمن اعتبرها القضاة واعتبرها الناس كنص الشارع وفي تقادم العصور تـغالى المتولون وطغت مطامعهم فعبثوا في الشروط التي اباحت لهم حق التصرف واستباحوا الامـوال وتجرأوا على التبديل والتغيير والحذف والتحكير واستعانوا باهل الولاية العامة وبممثليهم وبمرور الزمن والتعامل وبشهادات الزور نفذوا ما ارادوا وكان من اضاعة القيود وتبديل النصوص تعطيل الوقف وسرايـة الفساد الى ابناء الواقف وحصول الاختلافات . ما كان اغنى المسلمين عن التقيد في شروطهم واوقـافهم وما كان اغناهم عن تعويد ابنائهم الكسل والاتكال . الا نجد ان علة الوقف وعلة التـفرد هما سبب اضطراب القضاء وفوضى الخيرات . الا نجد ان الجوامع والشعائر لولا التفرد لما آلت الى ما الت اليه .

هذه مجالس الاوقاف وادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية وهذه الحكومة وهـذه المحاكم الم يعجزوا جميعا عن ازالة الاختلافات وعن اصلاح حالة الاوقاف وحالة المسلـمين ولعل البعض يظن ان الاوقاف ثروة يجب الاحتفاظ بها وعدم التفريط في أعيانها وان القول بحل اوقاف الذرية يسوق ابناء الواقفين وذريتـهم الى التشرد والفقر وهذا ضعف للمسلمين .

ان هذا القول ليس بحجة وهو مردود من وجوه اهمها « ان الثروة اذا لم تنم اكل عليهما الدهر وشرب وفي نظام الاوقاف الخيرية والذرية قلما يوجد اساس يضمن تـنمية الوقـف . ثـانيا ان

الثروة لا تنمو اذا لم تعامل بحسب تطور الزمن والاساليب الآيلة لتنميتها . واسلوب ادارة الوقف لا يرجى معه تطور ولا هو متفق مع اساليب التجارة او الشركات او الجمعيات التعاونية فكيف ينمو ثالثا ان الغلة حينما تصرف للشعائر والموظفين والمستخدمين والمستحقين وللترميم والتعمير واداء الضرائب لا يبقى منها الا نزر لا يكفي لشراء عقار ولتنمية الواردات واذا وجد تسلط غليه المتولون فيصرف في غير سبيل أو يؤكل بطريقة شرعية . ولو فرض وجود علة كافية واضيف عقار الى اصل الوقف فهل هذا كل ما يرجى من النمو . كلا . ان الاوقاف الخيرية قد تزداد اعيان عقاراتها وقد يصلح ولاتها ولكن الاوقاف الذرية هي على العكس ادعى للبوار والخراب واسرع للوهن والنقص لحرص المرتزقة على تقسيم فائض الغلة وعدم اهتمامهم بصرفها على التعمير والزيادة . رابعا إن العادة جرت في المحافظة على معالم الوقف اتباعا لما قيل (شرط الواقف كنص الشارع) ولذا فمعالم الوقف لا يجوز تحويلها او تحريرها او تبديلها وكل عين لا يتبدل ولا يتغير لا ينمو ولا يتقدم وبعد نفينا ان الوقف الذري ليس ثروة نعود الى ذكر الاضرار التي نجمت عن وجود الاوقاف الذرية وهي :

١ – وجود المشاحنات والضغائن بين افراد العائلة

٢ – تعويد اولاد الواقفين الكسل والاتكال

٣ – تقييد العمران حيث عقارات الوقف قد تمنع توسيع الطريق وتجميل الابنية والمحلات

فيتبين لنا مما تقدم اولا ان التفرد في ادارة الوقف مهما يكن مضر بالمصلحة . ثانيا – ان اسلوب ادارته لا يوافق شرط الحفظ والتنمية . ثالثا – ان التقيد المطلق بشروط الواقف دون مراعاة الزمن والحاجة والغاية لا يضمن الصالح العام ولا تقدم العمران . رابعا – ان الاوقاف الذرية ليست ثروة بل هي مجلبة الكسل والفساد . ولتدارك الاخطار والقيام بادارة الاوقاف التي يجب ان تكون مجردة للخير ادارة حكيمة معقولة تدعو لتحقيق النفع العام وما تتطلبه حاجات المسلمين التعبدية والارشادية والتعليمية « فيجب ان لا يبقى غير الاوقاف الخيرية . وان تحصر ادارتها بايدي جماعة او جماعات مسئولة . وان يعتبر مجموعها ثروة موقوفة وان تنظم ادارتها ويصرف ريعها للخير الذي اراده الواقف وللغاية التي فيها نفع للمسلمين . ولا يجوز التصرف بها تصرفا يدعو لضياعها او لتمكين الفرد من احتكارها سواء لعائلته و لذريته او لنفسه . ولتكون الاوقاف الخيرية تحت ادارة عامة واشراف مسئول . يقتضي جمعها سواء كانت مشروطة او ملحقة او مضبوطة . واوقاف الذرية يؤخذ منها مقدار يوازي ربعه الى جهة البر وما تبقى يترك للمستحقين ان شاؤا تقاسموه مهاياة او تصرفا او حاوه وكان لهم ما للمالك في ملكه »

ولا شيء يسهل اصلاح الاوقاف واصلاح حال المسلمين الا العمل بقول الكتاب المبين (ما جعل عليكم في الدين من حرج » وقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » الدال على

الوعظ والارشاد

شهر رجب

هو من الاشهر الحرم تقرر تحريمه في الجاهلية عند مضر كلها دون بقية العرب من العدنانيين والقحطانيين فالظن ان تحريمه لم يكن من عهد ابراهيم عليه السلام لانه لم تجمع العرب كلهم على تحريمه والظاهر ان مضر جعلوه شهرا حراما ليكونوا آمنين فيه قصداً لزيادة الامن في العام ولذلك جعلوه شهر العمرة ليكسبوه مهابة عند غير المضريين من العرب والعرب كلهم يعظمون القاصدين زيارة البيت قال النابغة يصف حجه

مشمرين على خوص مشممة　　　نرجو الاله ونرجو البر والطعما

ومن تعظيم الحجيج ان اقسمت العرب بالله بعنوان كونه تعلى رب الحجيج قال الحجاج

ورب اسراب حجيج كظم　　　عن اللغا ورفث التكلم

فحصل من ذلك تعظيم هذا الشهر عند معظم العرب وقد اشار الى ذلك النبيء صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع في ذكر الاشهر الحرم اذقال « ورجب مضر الذين بين جمادى وشعبان » وقد لقبه العرب بالاصم ارادوا انه لا يسمع الناس فيه قعقعة السلاح للقتال فجعلوه اصم عن سماعها على طريقة المجاز العقلي ولقبه المولدون بالاصب بالباء ولعله تحريف او قلب خفيف ولقبوه ايضا بالفرد لانه شهر حرام فرد بين اشهر حلال بخلاف الاشهر الحرم الاخرى فهي متتابعة فلذلك شاع ارداف

ان الشريعة الغراء تأمر باليسر الذي فيه الخير وتنهى عن العسر الذي فيه الضرر . والحديث الشريف (انما الاعمال بالنيات) الذي يعلمنا ان قيمة العمل بالنية وما وراءها من غاية . فنيات الواقفين ان كانت العمل لوجه الله والخير المطلق فكل ريع يصرف لخير المسلمين ونفعهم حسب حاجتهم ومقتضى زمانهم هو مقبول عند الله ــ ومقصود لوجهه . وقول الفقهاء في اصولهم ــ تتغير الاحكام بتغير الزمان ــ وهو يتفق مع قول المشرع الاعظم « انتم اعلم مني بامور دنياكم » وكلا الاساسين يفيدنا توجيه الامور الى ما هو افيد وعدم التقيد بما حدده الماضي لان الزمان السابق اذا اقتضى له اقامة تكية او زاوية او سبيل فان الزمن الحاضر يتطلب اقامة مستشفى ودار توليد ودار رضاعة ودار تمريض ومستوصف وغيرها من ضروريات المدنية والاجتماع كيلا يبقى المسلمون في عسر وعالة على غيرهم تنتابهم الاقدار ولا راحم لهم . والامة التي ليس فيها فئة او جماعة تعطف على الضعفاء وتواسي البؤساء لا يعم الهناء مجتمعها ولا تحافظ على كيانها (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) امر يقصد منه اصلاح المجموع ودعوة توحي الواجب لمن فيه المقدرة على انقاذ بني جنسه وقومه . والمصالح الدنيوية امور تتطور مع الحاجة ورقي العصر ولو بقيت شروطها وطرق معالجتها واحدة لا تتبدل لما امكن الاصلاح والمداواة

(يتبع)

شهر رجب عند الكتاب والمؤلفين بوصفه باحد هذه الاوصاف (وليتهم تركوا ذلك فانه من الفضول في الكلام والتطويل الذي لا طائل تحته وما كانت العرب تفعل ذلك ولا هو ماثور عن السلف

فلما جاء الاسلام اقر تحريم هذا الشهر في جملة ما اقر من المنافع كما اشار اليه قول النبيء صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « والله لا يسالونني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اجبتهم اليهـا » فورد اعتباره من الاشهر الحرم في قوله تعلى « ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها أربعة حرم » اذ فسره النبيء صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع بقوله « وان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان »

وان تحريم الاشهر الحرم في الاسلام لم يبق له حكم عملي بعد عموم الاسلام بلاد العرب في نظر جمهور العلماء لان القتال في الاسلام قد انقسم الى مأذون فيه ومحرم فالقتال الماذون فيه لا يتعطل اذا وجد سببه والقتال الحرام ممنوع في كل وقت فلم يبق للاشهر الحرم مزية في الاسلام غير الفضيلة التي تقررت لها من سالف الايام فهي معدودة من الاوقات الفاضلة ولذلك يرغب الناس في الصوم فيها قال علماؤنا ان جميع ايام الاشهر الحرم اوقات للصوم المرغب فيه ويزداد الترغيب بالنسبة للتسعة الايام الاول من ذي الحجة وللعشرة الايام الاول من المحرم وخاصة التاسع والعاشر . ولم يثبت في الدين تفضيل لصوم ايام معينة من الاشهر الحرم غير ما ذكرنا واما ما روي عن انس يرفعه رجب شهر الله وشعبان ورمضان شهرا امتي فهو حديث موضوع او ضعيف ولم يرد في تخصيص يوم من ايام رجب بصوم او صلاة حديث. والاحاديث المروية في ذلك لا تخرج عن الموضوع والضعيف . أما ما ورد في سنن ابن ماجة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم رجب كله فمعناه عند العلماء الكراهة لئلا يظن الناس وجوب صومه كوجوب صوم رمضان ولم يقل احد من ايمة مذاهب اهل السنة باستحباب صوم يوم معين من رجب بله سنيته . ويوم الجمعة الاول من رجب يسميه الناس جمعة الرغائب ولا وجه لهذه التسمية وانما ورد في حديث عن انس مرفوعا ان الملائكة تسمى اول ليلة من رجب ليلة الرغائب وهو حديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع ورجاله مجهولون ولم يتعقبه السيوطي في اللالي المصنوعة هذا وقد قيل ان شهر رجب كان فيه الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك احد اقوال فقيل كان الاسراء في ربيع الاول ليلة سبعة عشرة وقيل ليلة سبع وعشرين وقيل كان ليلة تسع وعشرين من رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب واختار هذا الحافظ عبد الغني المقدسي وقيل كان الاسراء في شوال وقيل في ذي الحجة

وقد جرى عمل المسلمين على متابعة ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي فجعلوا ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة ذكرى الاسراء ولعل الله قد وفقهم في هذا العمل فيكون ترجيحا لذلك الاختيار

شهر شعبان

هو شهر يستحب الصوم فيه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صومه حتى ورد في الصحيح من طرق كثيرة ان رسول الله لم يكن يصوم شهرا كاملا دون شهر رمضان الا شهر شعبان

وليس لشهر شعبان فضيلة غير هذه واما ما روي ان رسول الله قال فضل شهر شعبان على الشهور كفضلي على سائر الانبياء فهو حديث موضوع ولعل هذا الحديث هو الذي حمل الكتاب على ان يتبعوا اسم شعبان بوصف الاكرام وهو فضول زايد كما قلناه في شهر رجب وقد تقدم آنفا الكلام على حديث رجب شهر الله وشعبان شهري الخ

وقد شاع عند كثير من الناس ان لليلة النصف من شعبان فضائل ومزايا خاصة : منها اعتقادهم ان فيها صلاة خاصة يروون فيها كيفيات منها كيفية في حديث يروى بطرق عن علي بن ابي طالب وابن عمر وجماعة من الصحابة مرفوعا ان من صلى ليلة النصف من شعبان اعدادا مختلفة الركعات باعداد من فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص اعطاه الله خيرات في الدنيا والاخرة وصفت في ذلك الحديث وصفا طويلا ركيكا وهو حديث موضوع بجميع طرقه وعلى اختلاف رواياته لاختلال اسانيده ولما عليه من دسمة الوضع في ثقله واسهابه قال الحافظ علي بن سلطان المكي احاديث صلاة ليلة النصف من شعبان كلها باطلة والعجب ممن يشم رائحة العليم بالسنة كيف يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها وهذه الصلاة وضعت في الاسلام بعد الاربعمائة ونشأت بيت المقدس فوضع لها عدة احاديث لا يصح منها شيء اه قال ابن العربي في العارضة وقد اولع الناس بها في اقطار الارض اه ومنها ما رواه في صوم يوم النصف منه وقيام ليلته وقد روي في ذلك حديث ضعيف في سنن ابن ماجه ومنها اعتقادهم ان ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها ذنوبا كثيرة وقد روي في ذلك حديث في سنن الترمذي وابن ماجة بسند واحد عن عائشة مرفوعا قال الترمذي سمعت محمدا يضعف هذا الحديث وروى ابن ماجة في ذلك حديثا آخر هو ايضا ضعيف ورويت احاديث أخر قريبة من هذا المعنى لا تخرج عن حالة الضعف ومنها اعتقادهم ان ليلة النصف من شعبان يميز فيها من يعيش في العام التي هي مبدؤه ومن يموت من الناس وقد انجر لهم ذلك الاعتقاد من كلام بعض القصاصين من المفسرين اذ جعلوا ليلة نصف شعبان هي الليلة التي في قوله تعلى انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم . وجعلوا معنى يفرق اي يقضى وجعلوا معنى الامر الحكيم هو الارزاق والاجال قال ابن العربي في العارضة « وهذا باطل لان الله لم ينزل القرآن في شعبان قال تعلى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس الآية فهذا كلام من تعدى على كتاب الله ولم يبال ما تكلم به ونحن نحذركم من ذلك وانه قال فيها يفرق كل امر حكيم وانما تقرر الملائكة الامور في ليلة القدر المباركة لا في ليلة النصف من شعبان اه » . ومن خرافات العوام بتونس زعمهم ان من يقف في ضوء القمر ليلة النصف من شعبان وينظر الى ظل عنقه في ضوء القمر ان وجد ظل عنقه واضحا فهو حي في تلك السنة وان لم يجد لعنقه ظلا بل وجد ظل راسه متصلا بظل كتفيه فهو ميت في تلك السنة وهذا جهل واختلال مبين فان امتداد الظل وانقباضه يتبع موقع سمت القمر من جسد الواقف في ضوئه فيكون القمر في اول طلوعه في الافق وما يقرب منه فهو في سمت جانب الجسم فيظهر ظله طويلا ويكون في اواسط الليل في كبد السماء فيسامت اعلا الجسم فيظهر ظل الجسم قصيرا فلا يبدو ظل العنق قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٥ رجب وفي ٢ اكتوبر ١٣٥٦ — ١٩٣٧

افتتاح السنة الدراسية

التعليم في جامع الزيتونة وحل مشكلة التلامذة

لقد ابتهجت الاوساط الزيتونية يوم السبت الثاني من شهر اكتوبر الجاري الموافق للخامس والعشرين من شهر رجب المنصرم بافتتاح الكلية الزيتونية فقد كان السرور في هذا اليوم عظيما تبادل الزيتونيون خصوصا والتونسيون عموما فيه عبارات التهاني برجوع التلامذة الى معهدهم العظيم بعد ان فارقوه مدة سبعة اشهر ونيف مضربين عن التعلم واقفين مكتوفي الايدي ينتظرون جواب الحكومة الحاسم عن المطالب التي قدموها اليها

وقد تداخل في حل هاته المشكلة عدة هيئات واخيرا الوفد المركب من المشايخ السادة الناصر الصدام وعلى النيفر وصاحب المجلة نائبا عن المشايخ المدرسين لمواجهة المولى الوزير الاكبر في شان قضية الجامع واستلفات انظاره السامية اليها وقد تبادر اليه حسبما ابداه جناب الوزير انه سيفض هذه المشكلة في اقرب وقت وقد نشر ذلك في وقته في الجرائد المحلية وبعد ايام صدر البلاغ الرسمي المنتظر فكان شاهدا على عناية الدولة بامر التعليم بجامع الزيتونة وما هي عازمة على القيام به من الاصلاحات المرغوب فيها ومطمنا للتلامذة على انجاز مطالبهم اذا هم لازموا الهدو ورجعوا الى دروسهم في مفتتح السنة الدراسية فكان لهذا البلاغ الوقع الحسن في نفوس الزيتونيين ووضعوا ثقتهم في جناب الحكومة لتنفذ ما قطعته على نفسها من الوعود ورجعت المياه الى مجاريها

استؤنفت الدروس في اليوم الاول من السنة الدراسية على احسن وجه وحل الاطمئنان محل الاضطراب . ونحن بقدر ما نهتم بمصالح الكلية والدفاع عنها ناسف لضياع امثال هاته الحصص من اوقات التلامذة وما يتبع ذلك من الويلات ونتمنى ان لا تعاودنا امثال تلك الغيوم وننصح تلامذة الجامع ان لا يتخذوا امثال هاته الطرق للوصول الى رغباتهم المشروعة

كما نطلب من جناب الحكومة التي عودتنا الاهتمام بمصالح الكلية واهلها ان تناجز فيما تعد به حتى لا يدخل الياس فى بعض النفوس فيؤثر فيها التاثير السيء الذي لا يرضاه الجميع فان التمهل ربما يفضي الى نحو ماحدث وتكرر في هاته السنوات الاخيرة ان التعليم بالجامع هو كغيره من التعليم بالكليات يحتاج الى التعهد المتواصل ليدوم نفعه كما ان مصالح اهله تستدعي شيئا من الاهتمام ليقع الاصلاح العام وما هو على همة الحكومة بالشيء العسير

ونستبشر باستقبال عصر سعيد دخلت فيه قضايا المعهد في طور جديد سيشمل جميعها بعناية الله وحسن توفيقه للمتولين امر المعهد والمشرفين عليه

كما انه استأنفت جمعية اعانة ضعفاء التلامذة اعمالها ووزعت مقتطعات المونة على التلامذة الذين تحت رعايتها وقد بلغ عددهم مائة وخمسة وسبعين وقد وقفت عند هذا الحد لعدم سماح ميزانها بالزيادة عليه وعدم اتصالها من جناب الحكومة بالقدر المقرر بالمجلس الكبير في ميزان العام الجاري ١٩٣٧ حسبما نشر في الصحف المحلية واستفاده مجلسها من رئيس اللجنة المالية السيد محمد شنيق والسيد الاخضر بن عطية نائب الرئيس بالمجلس الكبير ايضا . اه